
بسم الله الرحمن الرحيم







المجلد الرابع
الآثار في منطقة تبوك

الطبعة الأولى
(١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م)

المحتويات

1 الجزء الأول: آثار ما قبل الإسلام

2 الجزء الثاني: الآثار الإسلامية


موسوعة منطقة تبوك العلمية

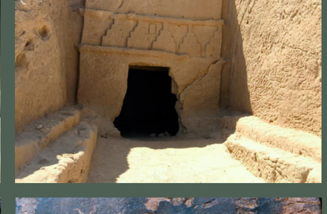
الجزء الأول:
آثار ما قبل الإسلام

تأليف:

د. زيدون بن حمد المحيسن











مقدمة:

تعد منطقة تبوك والمناطق التابعة لها في شمال غرب الجزيرة العربية، من المناطق الغنية بالآثار منذ العصور الحجرية القديمة، وبقيت مناطقها لها دور هام في تاريخ وحضارة المنطقة، حتى يومنا هذا. وكانت مناطق تبوك مسرحاً للدراسات والأبحاث والرحلات، التي قام بها الرحالة الغربيين الذين اهتموا بحضارة المنطقة، وخاصة في العصور القديمة وفي فترة ما قبل الإسلام، ثم الدور الكبير الذي قام به الرحالة والعلماء المسلمين في دراسة المنطقة.

إن البحث في دراسة آثار وحضارة منطقة تبوك، مرتبط بشكل مباشر بآثار الجزيرة العربية في فترة ما قبل الإسلام. إذ إن دراسة الآثار، والتاريخ السياسي، والاجتماعي، للعرب في العصر السابق على ظهور الإسلام، ودراسة المنابت الأولى للحضارة العربية، يستثير اليوم اهتمام الكثير من أبناء الأمة العربية، في مختلف أنحاء العالم العربي.

منذ قرن من الزمان، كانت معلوماتنا عن آثار بلاد العرب وشمال غرب الجزيرة العربية بالتحديد قبل الإسلام، تعتمد على ما جاء في التوراة، وعلى ما كتبه المؤرخون الإغريق والرومان، وما كتبه العرب عن تاريخهم قبل الإسلام، أو من الشعر الجاهلي.

ولكن كل ذلك تغير عند اكتشاف النقوش، وهي مخربشات (Graffiti) على واجهات الصخور، التي تزخر بها مناطق تبوك، وشمال غرب الجزيرة العربية، التي أمدتنا بالكثير من المعلومات، والحقائق، والأدلة الواضحة عن هذه الحضارة، وساعدتنا في تكوين صورة أولية، عما كان جارياً في البلاد القديمة قبل الإسلام.

وقد اعتمد العلماء والآثاريون، على مصادر كثيرة ومتنوعة في معرفة تاريخ العرب القديم، ولكن هذه المصادر تنحصر في ثلاثة أنواع مهمة:

الأول: المصادر الأثرية: وتتضمن النقوش الكتابية، والآثار المعمارية، ومنطقة تبوك وشمال غرب الجزيرة العربية غنية بهذه الشواهد.

الثاني: المصادر العربية المكتوبة: وأهمها القرآن الكريم، والحديث، وكتب التفسير، وكتب السيرة، والمغازي، وكتب التاريخ، والجغرافية البلدانية، والشعر الجاهلي.

الثالث: المصادر غير العربية: وتشمل التوراة، والتلمود، وكتب التاريخ والآثار اليونانية والرومانية واللاتينية والسريانية والبيزنطية والمصادر المسيحية.

ويقصد بالمصادر الأثرية، الآثار غير المنقولة والآثار المنقولة، أمّا الآثار غير المنقولة فهي: الآثار المادية الباقية، والتي تبدأ بما خلفه الإنسان البدائي القديم في دهوره الحجرية من أدوات متواضعة ورسوم بدائية، كما تتضمن أساساً ما تركته الجماعات العربية المتحضرة في عصورها التاريخية من آثار معمارية قائمة: كبقايا المعابد، والسدود، والأسوار، والحصون. والأمثلة على ذلك واضحة في كل اتجاه في مناطق تبوك.

والآثار منقولة: كالتحف المعدنية، والعملات، والتحف الخشبية، والخزفية، وغير ذلك من المواد التي يسهل حملها ونقلها (Beckingham، ١٩٧٦: ٦، Bowersock، ١٩٧١: ٦١).

وتعدُّ النقوش الأثرية المكتوبة، من أهم مصادر التاريخ بوجه عام، والتاريخ العربي القديم بوجه خاص، لأنها الشاهد التدويني الوحيد الباقي من تلك الأيام.

وتعدُّ النقوش الأثرية المكتوبة، من أهم مصادر التاريخ بوجه عام، والتاريخ العربي القديم بوجه



خاص، لأنها الشاهد التدويني الوحيد الباقي من تلك الأيام (علي، ١٩٧٦: ٤٤).

فقد ظهرت النقوش اليمنية، وعشرات الآلاف من المخربشات القصيرة على سطوح الصخور من نقوش ثمودية، ولحيانية، وسبئية، ونبطية وغيرها، فضلاً عن تلك التي وجدت خارج شبه الجزيرة العربية، كالنقوش الصفوية مثلاً.

على أنه يجب ملاحظة أن في هذه المصادر الأثرية نقاط ضعف كثيرة، منها أنها في معظمها تتشابه في مضمونها، وفي إنشائها لأنها تتعلق بأمور شخصية، ومن ثم فقد كانت أهميتها لغوية أكثر منها تاريخية، ومعظمها وجد في المعابد والقبور، ومن ثَمّ فهي ذات صبغة دينية. وأيضاً نلاحظ أن الكتابات المؤرخة منها قليلة، ولم تهدنا إلى تقويم ثابت يمكن القول إن العرب القدامى كانوا يستعملونه (مهران، ١٩٩٤: ٥٠).

لا يمكن لأحد أن ينكر المعلومات والوقائع الأثرية القيمة، التي أمدتنا بها هذه النقوش، كأسماء الملوك، وعلاقات القبائل بعضها ببعض، والعلاقات التي كانت قائمة بين شمال غرب الجزيرة العربية، وبلاد العرب من علاقات تجارية، واقتصادية، واجتماعية، وسياسية وغيرها.

لهذا فهي تعدّ وثائق واقعية وحقيقية، يستند عليها المؤرخ في تأريخه للأحداث، كونها معاصرة لتلك الأحداث التي لم تشوهها الروايات أو النقول أو التعليقات.

أمّا الآثار العربية القديمة، فتعدّ سجلاً تاريخياً حياً لأعمال الملوك والأمراء، في المراحل المختلفة الباقية من التاريخ الجاهلي، وشاهداً مادياً ماثلاً لحضارة العرب في عصر الجاهلية، لما لهذه البقايا الأثرية من أهمية في إثراء الجانب التاريخي (Jaussen، and Savignac، ١٩٠٤-١٩١٤، Musil، ١٩٢٦).

أما بالنسبة للمصادر العربية المكتوبة، فيعدّ القرآن الكريم هو المصدر الأول لتاريخ العرب في عصر الجاهلية، وأصدق المصادر العربية المدونة على الإطلاق، إذ إنَّ فيه ذكراً لبعض مظاهر حياة العرب السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والدينية (البكر، ١٩٧٨: ٢٣). وفيه ذكر لبعض أخبار الشعوب البائدة، وليس للتأريخ فقط، وجاء ذكرها في النص القرآني لتكون عبرة وعظة، خاصة في حديثه عن القبائل التي استنكرت الأنبياء ورفضتهم، مثل عاد وثمود، قال تعالى: (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية (٥) وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية) (سورة الحاقة، الآيات: ٤- ٦).

أمّا الحديث النبوي الشريف، فهو المصدر الثاني للشريعة الإسلامية، وعلى الرغم من كونه مصدراً فقهياً أكثر من كونه تاريخياً (مهران، ١٩٩٤: ١٠٥)، إلا أنه يعدُّ أصدق المصادر التاريخية بعد القرآن الكريم، لتدوين تاريخ الفترة السابقة للإسلام (البكر، ١٩٧٨: ٢٥).

وكتب التفسير تحتوي على ثروة تاريخية علمية قيمة في تدوين التاريخ العربي القديم، وتشرح ما جاء مجملاً في القرآن الكريم، وتحكي عن الأيام التي سبقت عصر الإسلام، والقبائل العربية البائدة، ولكنها لا تخلو من بعض الشوائب، التي تحتاج لشيء من التنقيح والتمحيص والتدقيق، لفرز أبرز المعلومات وتصنيفها ودراستها (مهران، ١٩٨٠: ٤٤).

والمصادر غير العربية كالتوراة، والتلمود، تعد من أقدم المصادر غير العربية لآثار وتاريخ العرب قبل الإسلام، والتوراة كلمة عبرية تعني الهداية والإرشاد، وفي الاصطلاح الأسفار الخمسة الأولى (التكوين، الخروج، اللاويون، العدد، التثنية)، والتي تُنسب إلى موسى عليه السلام، والتي هي أيضاً جزء من «العهد القديم» وما كتب في التوراة عن العرب

يرجع تاريخه إلى ما بين القرن الثامن والقرن الثاني قبل الميلاد. فقد ورد ذكر العرب في مواضع متعددة من أسفار التوراة (مهران، ١٩٨٠: ٢٩؛ علي، ١٩٧٦: ٥٤)، لتفسير الصلات بين العبرانيين والعرب، كسفر المزامير، وسفر عاموس، وسفر دانيال (سالم، ١٩٨٠: ٣٩؛ البكر، ١٩٧٨: ٣٥).

أمّا كتب التاريخ اليونانية، واللاتينية، والسريانية، فتشمل على ما فيها من تناقضات وأخطاء، على معلومات تاريخية وجغرافية هامة عن العرب قبل الإسلام. فقد تعرض كثير من مؤرخي اليونان، والرومان، الجغرافيين والرحالة، في مؤلفاتهم لسكان شبه الجزيرة العربية، وبالتحديد منطقة شمال غرب الجزيرة العربية، وأحاطوا علماً بأحوالها، لأن هذه البلاد تقع على طريقهم إلى الهند والصين، كما كانت تنتج السلع المرغوبة جداً في أسواق الغرب (البكر، ١٩٧٨: ٣٥).

ومصنّفو هذه الكتب اعتمدوا في تصنيفهم على أخبار زودهم بها المحاربون اليونان والرومان، والرحالة، والبحارة، والتجار، والسياح، الذين اختلطوا بقبائل بلاد العرب، أو أقاموا مدة بينهم (سالم، ١٩٨٠: ٤١؛ علي، ١٩٧٦: ٥٦).

وتعد الإسكندرية من أهم المراكز التي كانت تُعنى عناية خاصة بجمع المعلومات عن بلاد العرب، وعن عادات سكانها، وما ينتج فيها، لتقديمها إلى من يرغب فيها من تجار البحر المتوسط (مهران، ١٩٨٠: ٣٢).

ومن أهم وأقدم من تحدث عن العرب من اليونان هو اسكليوس (Aeschylus) (٥٢٥- ٤٥٦) قبل الميلاد، وهيرودوت (Herodut) (٤٨٤- ٤٣٠) قبل الميلاد، وديودور الصقلي (Diodorus Siculus) (٤٤) قبل الميلاد، وبلينيوس (Gaus Plinius Secundus) (٢٣-٧٢) ميلادية، وسترابو (Strabon)، وثيوفراست (Theophrastus) (٣٧١-٣٨٧) قبل الميلاد، وايراتوشيتس (Eratothnes) (٢٧٦-٢٩٤) قبل الميلاد وغيرهم (البكر، ١٩٧٨: ٣٧).

كما تشتمل المصادر التاريخية المسيحية على كثير من أخبار العرب وشمال غرب الجزيرة العربية، وعلاقتهم باليونان والفرس، وتمتاز هذه المصادر بدقتها من الناحية التاريخية. وترجع أهمية هذه الكتابات، إلى أنها تؤرخ لانتشار المسيحية في بلاد العرب، وللقبائل العربية نفسها.

كما أنها تربط الأحداث بالمجامع الكنسية وبتاريخ القديسين، ومن ثم فقد حصلنا على تواريخ ثابتة، الأمر الذي افتقدناه إلى حد كبير في المصادر السابقة، ولعل من أشهر الكتابات مؤلفات يوسبيوس (٢٦٤-٣٤٩ميلادية) وبروكبيوس المتوفى عام (٥٦٣ميلادية) (مهران، ١٩٩٤: ٩١، ٩٢).

والمصادر البيزنطية والسريانية ذات شأن كبير في تدوين تاريخ القبائل والممالك العربية قبل الإسلام، ولا سيما تلك التي كانت على صلة بالدولتين البيزنطية والساسانية، كقبائل شمال غرب الجزيرة.

كما أن المبشرين المسيحيين، الذين انتشروا في أرجاء مختلفة من شبه الجزيرة العربية، لنشر الديانة المسيحية، حفظوا لنا مادة غزيرة عن العرب في الفترة التي عاشوها، منهم شمعون الأرشامي (Schemon von Beth Arschm) صاحب رسائل الشهداء الحميريين (البكر، ١٩٧٨: ٤٠، ٤١).

ومن المؤرخين السريانيين الذين ذكروا العرب: ملالا (Malala) المولود حوالي (٤٩١) ميلادية، ويوحنا الإفسي (John of Ephesus) المتوفى في سنة (٥٨٥) ميلادية، وثيو فلكاتز (Theophylacths Simocatta) المتوفى سنة (٦٤٠) ميلادية، وثيوفانس المؤرخ البيزنطي المتوفى سنة (٨١٨) ميلادية في ساموس (البكر، ١٩٧٨: ٤١).



جزيرة العرب:

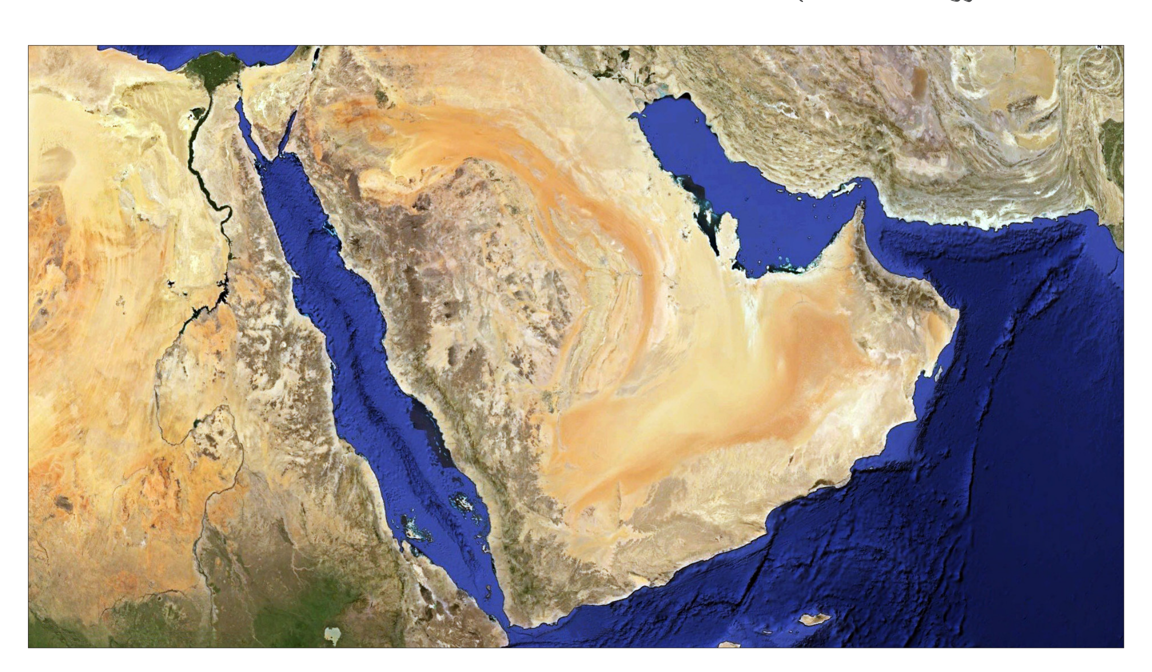
تقع شبه الجزيرة العربية بين خطي عرض (١٢) و(٣٢) شمالاً، وخط طول (٣٤) و(٥٨) شرقاً، وتبلغ مساحتها أكثر من مليون ميل مربع بقليل (إسماعيل، ١٩٩٧: ١٨٨). أمّا أبعادها، فيبلغ طول ساحلها الغربي من رأس خليج العقبة حتى خليج عدن (١٤٠٠) ميلاً، ويبلغ طول ساحلها الشرقي من رأس الخليج العربي شمالاً حتى رأس الحد جنوباً (١٥٠٠) ميلاً، أما عرضها في أضيق نطاق بين البحر الأحمر، والخليج العربي فهو (٧٥٠) ميلاً، وأما بين خليج عمان والبحر الأحمر فيصل الاتساع إلى (١٢٠٠) ميلاً (مهران، ١٩٩٤: ٢٣٣).

وجزيرة العرب عبارة عن شبه جزيرة كبيرة تقع في الزاوية الجنوبية الغربية من قارة آسيا، وتحيط بها المياه من ثلاث جهات. ففي غربها البحر الأحمر، ويسمى بحر (القلزم) أو (الخليج العربي) (Arabicus Sinus) كما سماه المؤرخون القدامى كبطليموس، والبحر الأبيض المتوسط (الشامي، ١٩٧٨: ٤٧؛ معروف، ١٩٧٥: ٧٣).

وفي شرقها بحر عُمان والخليج العربي، وفي جنوبها البحر العربي، ومن الشمال الأردن والعراق. وتختلف حدودها الشمالية عند الجغرافيين والمؤرخين باختلاف الدول والأزمنة (الفاسي، ١٩٩٣: ٣٩؛ عاقل، ١٩٨٨: ١٤؛ معروف، ١٩٧٥: ٧٥).

وقد أطلق جغرافيو العرب على هذه البلاد اسم الجزيرة أو جزيرة العرب، وعللوا هذه التسمية بأن مياه البحار تحيط بها من ثلاث جهات، كما تحيط بها مياه دجلة والفرات من الجهة الرابعة في الشمال، فأصبحت مثل جزيرة من جزر البحر (الشامي، ١٩٧٨: ٨).

وإذا ألقينا نظرة عامة على خارطة جزيرة العرب، وعلى شمال غرب الجزيرة العربية، نرى أنها أرضٌ مرتفعة في الغرب، تسيطر على السواحل الضيقة، وتكون سلاسل من المرتفعات متصلاً بعضها ببعض، تمتد من بلاد الشام إلى اليمن، ويقال لهذه المرتفعات جبال السراة. ويصل أقصى ارتفاع لها في



الموقع الجغرافي لشبه الجزيرة العربية، وتقع منطقة تبوك في مكان متميز في الشمال الغربي

إقليم مدين شمالاً (٩٠٠٠) قدم، وفي الحجاز إلى (١٠٠٠٠) قدم، على حين يصل جبل النبي شعيب، وهو أقصى مرتفعاتها في اليمن إلى (١٢٣٠٠) قدم. وتكون سلسلة جبال السراة العمود الفقري لجزيرة العرب، وتتصل فقراته بسلسلة جبال بلاد الشام المشرفة على البادية، المتحكمة فيها تحكم الجنود في القلاع (علي، ١٩٧٦: ١٥٦).

وهناك أيضاً الهضاب والصحارى والدارات، وهي سهول رملية مستديرة بين التلال، تستقر تحت سطحها المياه، ومنها بادية الشام وبراري العراق.

وللدارات أهمية خاصة عند العرب، وذلك لأنهم اتخذوها منازلاً لهم، لاتصافها بصفات ملائمة لبناء الخيم، ولأنها سهلة لمبارك الإبل، ولمرابض الخيل، ولجلوس القوم، ثم هي مرتفعة عن مجاري السيول، محاطة بتلال أو جبال تحمي من الرياح في الغالب، ولخصوبة أرضها فهي مرتع للغنم والبهائم، وملعب للصبية.

ولبعض هذه الدارات شهرة، إذ وردت أسماؤها في الشعر الجاهلي والإسلامي، مثل دارة جلجل، ودارة الأرام، التي كانت ممتلئة بشقائق النعمان، كما جاء في شعر المازني.

ويضيق المجال هنا عن ذكر هذه الأشعار التي تغنت بمثل هذه الدارات، خوفاً من الخروج عن السياق ويهدف إلى سياقات أخرى (عاقل، ١٩٨٨: ١٦؛ حتي وآخرون، ١٩٨٦: ٤١؛ علي، ١٩٧٦: ١٥٦).

الأراضي الصحراوية في جزيرة العرب

أولاً- النفوذ: وهي الصحراء المسماة «بادية السماوة»، أمّا النفوذ فاسم لم يكن يعرفه العرب قديماً. وتبلغ مساحتها نصف مليون كم٢ تقريباً، وهي قفار متسعة ذات رمال بيضاء، أو محمرة تسفيها الرياح فتجعل منها كثباناً أو تلالاً، تغطي جزءاً كبيراً من شمالي الجزيرة العربية، حيث يبلغ ارتفاع بعضها من (٣٠٠-٥٠٠) قدم (مهران، ١٩٩٤: ٢٥٠؛ عاقل، ١٩٨٨: ١٨؛ حتي وآخرون، ١٩٨٦: ٤٣).

وتعد النفوذ من الأماكن المائلة أو المنحدرة، ويظهر من الارتفاعات أن مستوى المنطقة الشرقية من النفوذ أوطأ من مستوى المنطقة الغربية عند خط طول (٢٧°) درجة و(٣٠) دقيقة بما يزيد على (١٥٠) متراً، أي أن هذه البادية مرتفعة في الغرب آخذة في الانخفاض والميل في الشرق (علي، ١٩٧٦: ١٥٢).

وتكثر المراعي في فصلي الشتاء والربيع في النفوذ، وتأتي القبائل إليه في هذين الفصلين، وتتجنبه في فصلي الصيف والخريف (البكر، ١٩٧٨: ٦١). ويغلب نزول المطر في أواسط شهر تشرين الثاني، بعد هبوب الرياح الشرقية (الشامي، ١٩٧٨: ١٤).

ثانياً- الدهناء: تبلغ مساحتها نصف مليون كم٢ تقريباً، وهي أرض رملية حمراء متوسط ارتفاعها من (٤٠٠-٥٠٠) متر عن سطح البحر، وتخترق الطريق الموصل بين الإحساء والرياض، وتمتد من النفوذ شمالاً إلى الربع الخالي جنوباً (علي، ١٩٧٦: ١٥٠).

ويُعرف الجزء الغربي من الدهناء باسم الأحقاف، وهي منطقة واسعة من الرمال بها كثبان مستطيلة الشكل (البكر، ١٩٧٨: ٦١)، أمّا الأقسام الجنوبية منها فتعرف بالربع الخالي (عاقل، ١٩٨٨: ١٧؛ حتي وآخرون، ١٩٨٦: ٤٣).

وقد هجر الناس السكنى في أكثر أقسام الدهناء، لجفاف أكثر أقسام هذه المنطقة الصحراوية الواسعة، وخلوها من المراعي، ولكثرة هبوب العواصف الرملية فيها، ولشدة حرارتها، وأقاموا في الأمكنة المرتفعة منها التي تتوافر فيها المياه، وتتساقط عليها الأمطار فتنبت الأعشاب وينتجعها الأعراب (علي، ١٩٧٦: ١٥٠).



وتعدُّ الدهناء امتداداً للنفوذ الكبير، وهي مجموعة من النفوذات تسمى بأماكنها مثل نفوذ شقرا، ونفوذ البطرا، ونفوذ قنيفذة، ونفوذ السرا (الشامي، ١٩٧٨: ١٥).

ثالثاً- الحرة: وهي أرض من الحجارة الرملية تعلو سطحها حمم البراكين القديمة الخفانية النخرة (عاقل، ١٩٨٨: ١٨؛ حتي وآخرون، ١٩٨٦: ٤٣)، والحرة عادة مستطيلة الشكل، فإذا كان فيها شيء مستطيل غير واسع فذلك الكراع واللابة (Lava) وهي الصخور البركانية.

وتكثر الحرار في الأقسام الغربية من جزيرة العرب، وخاصة في تبوك وشمال غرب الجزيرة العربية، وتمتد حتى تتصل بالحرار في بلاد الشام في منطقة حوران، ولا سيما في الصفاة، وتوجد في المناطق الوسطى، والمناطق الشرقية الجنوبية من نجد، إذ تتجه نحو الشرق، والمناطق الجنوبية والجنوبية الغربية (علي، ١٩٧٦: ١٤٧).

ويذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان ما لا يقل عن ثلاثين حرّة، أشهرها حرة المدينة (الحموي، ١٩٧٩: حرف ح). وذكر ابن الفقيه أيضاً أن في بلاد العرب ثماني حرار: حرّة بني سليم، وحرة لفلف، وحرّة بني هلال، وحرّة النار، وحرّة ليلى، وحرّة راجل، وحرّة واقم، وحرّة ضرغد. ولعل من أهم الحرّات: حرّة العويرض التي تقع في تبوك، وتمتد غرب درب الحاج من تبوك إلى العلا، ويبلغ طولها أكثر من مائة ميل بعرض يكاد يقرب من ذلك، ومتوسط ارتفاعها عن سطح البحر حوالي خمسة آلاف قدم (مهران، ١٩٩٤: ٢٤٧).

لا يوجد في جزيرة العرب أنهار كبيرة بالمعنى المعروف من لفظة نهر، مثل نهر دجلة أو الفرات، بل فيها أنهار صغيرة أو جعافر، وهي لذلك تُعد في جملة الأرضين التي تقل فيها الأنهار والبحيرات، وفي جملة البلاد التي يتغلب عليها الجفاف (علي، ١٩٧٦: ١٥٧)، ويقل فيها سقوط الأمطار، ومن ثم فقد أصبحت أكثر بقاعها صحراوية قليلة السكان.

أمّا الوديان فإن بعض أجزائها في الجنوب، تظل ممتلئة بالماء طوال السنة، وذلك بسبب وقوعها في منطقة الرياح الموسمية التي تجلب الأمطار الموسمية الغزيرة، كوادي السرحان، ووادي الحمض، ووادي الخارد (عاقل، ١٩٨٨: ٢١).

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن كثيراً من أودية شبه الجزيرة، كانت أنهاراً في يوم ما، بسبب وجود ترسبات في هذه الأودية من النوع الذي يتكون عادة في قيعان الأنهار، ومنها ما عُثر عليه من عاديات وآثار سكن على حافة الأودية (مهران، ١٩٩٤: ٢٥٢)، والأمثلة على ذلك ما هو موجود في أودية تبوك، فقد ورد في كتب اليونان والرومان أسماء لأنهر طويلة في بلاد العرب، كنهر (كورس) الذي ذكره هيرودتس وقال عنه إنه من الأنهر العظيمة، وكان يصب في بحر الأرتيريا (الأحمر). ونهر (لار) ذكره بطليموس وزعم أنه ينبع من منطقة نجران، ثم يسير نحو الجهة الشرقية مخترقاً بلاد العرب حيث يصب في الخليج العربي، ولا يُعرف من أمر هذا النهر شيء في الوقت الحاضر (البكر، ١٩٧٨: ٦٦).

ويرى مورتز أنه وادي الدواسر الذي يمس حافة الربع الخالي، عند نقطة تبعد خمسين ميلاً من جنوب شرق السليل (مهران، ١٩٩٤: ٢٥٢).

المناخ:

أمّا مناخ الجزيرة العربية فهو قاري، أي حار صيفاً وبارد شتاء، والأمطار فيها قليلة، والمياه متوافرة في أغلب نواحي الجزيرة العربية، وقد ساعدت هذه المياه على السكنى، وعلى الزراعة، ونشوء المدن والحضارات (الفاسي، ١٩٩٣: ٣٩). ولكن الجفاف هو الصفة الغالبة على جو جزيرة العرب، فالأمطار قليلة، والرطوبة منخفضة في الداخل، إلا في التهائم والسواحل فإنها ترتفع فيها (علي، ١٩٧٦: ٢١٥).



النباتات:

وبالنسبة لنبات الجزيرة، فإن جفاف الهواء وملوحة التربة يحولان دون نمو النباتات وازدهارها (حتي وآخرون، ١٩٨٦: ٤٦)، على الرغم من أن نباتات تآلفت مع المناطق الحارة الرطبة، وأعشاب عاشت على المستنقعات وفي الأرض الرطبة، وحشائش وقصب وغيرها (علي، ١٩٧٦: ٢١٣).

ويكثر النخيل في الحجاز، وفي شمال غرب الجزيرة العربية، إذ إن للنخيل فوائد كبيرة، فقد كان التمر والحليب أساس الطعام عند البدو (البكر، ١٩٧٨: ٩٠)، فأصبحت هذه الشجرة سيدة الأشجار عموماً، لا عند العرب وحدهم بل عند قدماء الساميين أيضاً، وكانت تُشكل ثروة ورأس مال يدر على صاحبه ربحاً وافراً، نظراً لما تنتجه هذه الأشجار من ثمار، وهي على أنواع متعددة (علي، ١٩٧٦: ٢٠٧).

كان القمح والشعير والذرة يزرع في اليمن وفي بعض الواحات (حتي وآخرون، ١٩٨٦: ٤٦؛ البكر، ١٩٧٨: ٨٩)، وانحصرت زراعة الحبوب والبقول في الأماكن التي تتوافر فيها المياه أو تتساقط عليها الأمطار، فنجدها في الحجاز واليمن ونجد (علي، ١٩٧٦: ٢١٠).

ولا يزال شجر اللُبان يزدهر على الهضاب المحاذية للساحل الجنوبي، لا سيما في مهرة (علي، ١٩٧٨: ٨٩). إذ يذكر ياقوت الحموي: «أن اللبان لا يوجد في الدنيا إلا في جبال ظفار... وأنه شجر ينبت في تلك المواضع.. ويجتنيه أهل تلك البادية، وذلك أنهم يجيئون إلى شجرته ويجرحونها بالسكين، فيسيل اللبان منه على الأرض، ويجمعونه ويحملونه إلى ظفار». ويشير بلينيوس أيضاً في كتابه (التاريخ الطبيعي Historia Naturalis)، إلى الشعائر الدينية التي كانت تلازم معالجة لحاء الأشجار، لاستخراج اللبان، وتكاليف هذه الشعائر، ونصيب رجال الدين من المحصول، والضريبة التي يحصلها الملك على المحصول، فضلاً عن نصيب الحاشية والموظفين والحرس (مهران، ١٩٩٤: ٨٩).

وقد كان لشجر اللبان أهمية واضحة في الحياة التجارية الأولى في البلاد العربية الجنوبية (حتي وآخرون، ١٩٨٦: ٤٦)، فقد كان البخور واللبان بترول العالم في ذلك الزمان، وكانت مصدر رخائها، ومصدر تنافس الدول الكبرى عليها سابقاً (علي، ١٩٧٦: ٢١٠).

ومما يدل على ذلك، ما أورده هيرودوت (Herodotus) في الكتاب الثالث فقرة(٩٧): «أن العرب كانوا بين الشعوب التي لم تدفع جزية للملك الفارسي، وأنهم يقدمون عوضاً عنها هدية قدرها ألف تالنت من اللبان كل عام» (عبدالعليم، ١٩٨٤: ٢١١)، ولكن زالت أهميتها بالتدريج، وذهب سحرها بتبدل الأيام. وهناك الصمغ العربي، وشجرة البن التي أُدخلت زراعتها من بلاد الحبشة في القرن الرابع عشر الميلادي (البكر، ١٩٧٨: ٩٠)، ومن الفواكه: التفاح، والمشمش، واللوز، والرمان، والبرتقال، والبطيخ، وقصب السكر، ويرجح أن الأنباط هم الذين أدخلوا هذه الفواكه إلى الجزيرة من الشمال (عاقل، ١٩٨٨: ٢٣؛ حتي وآخرون، ١٩٨٦: ٤٦؛ علي، ١٩٧٦: ٢٠٨).

الحيوانات:

أمّا مملكة الحيوان في جزيرة العرب، وفي تبوك وشمال غرب الجزيرة (علي، ١٩٧٦: ١٩٦)، فليست مملكة ضخمة بسبب جو الجزيرة. ولكن عاشت بعض الحيوانات منها الجمل، الذي يعدّ من أقدم الحيوانات التي سمعنا بها عند العرب، إذ اقترن اسم العرب مع الجمل، وهذا ما صورته لنا الرقم الطينية الآشورية عند ذكر المعارك التي وقعت بين العرب والآشوريين (البكر، ١٩٧٨: ٩٣). وعاشت الخيل أيضاً التي أصبحت أهم سلاح لنجاح الغزو. ومن أشهر الحيوانات البرية التي عاشت في تبوك وشمال غرب الجزيرة العربية، ابن آوى، والوعل، واليربوع، وبقر الوحش، والخنزير، والأرنب، وجاء أيضاً ذكر الأسد في الآداب العربية القديمة (البكر، ١٩٧٨: ٩١). ومن الطيور: النعام، والقطا، والحجل، والكروان، والغراب، والبجع، والهدهد، والنسر، والحدأة، وغيرها (مهران، ١٩٩٤: ٢٦٣، ٢٦٤).



الخامات الطبيعية:

ولئن كان اللبان والطيب أفخر الحاصلات التي اشتهرت بها البلاد، فثروتها المعدنية لم تقل عن تلك قيمة، وأخص معادنها الذهب، وكانت مناجمه على ساحل الجزيرة الغربي بين شمال غرب الجزيرة العربية واليمن، وفي أواسط الجزيرة أيضاً (حتي وآخرون، ١٩٨٦: ٧٩).

وقد ذكر الجغرافيون العرب أسماء ومواضع عُرفت بوجود خام الذهب بها، مثل: موضع مدين في تبوك، و«بيشة» أو «بيش»، و«ضنكان» (علي، ١٩٧٦: ١٩٢)، والمنطقة ما بين «القنفذة» و«مرسى حلج»، وعلى مقربة من «حمضة» (مهران، ١٩٩٤: ٢٦٢، ٢٦٣).

وقد بين ديودورس (Diodoros) أن شمال غرب الجزيرة غنية بمناجم الذهب، الذي بلغت نقاوته حداً لم تعد معه حاجة إلى تصفيته بواسطة الصهر.

وقد أفرد جغرافيا العرب المشهوران، المقدسي والهمداني اللذان عاشا في القرن العاشر للميلاد، فقرة كاملة في كل من كتابيهما، آتيا فيهما على وصف معادن الجزيرة وتقرير ما فيها من ذهب (حتي وآخرون، ١٩٨٦: ٧٩).

وذكر ياقوت أيضاً في معجم البلدان بعض مناجم الذهب في اليمن واليمامة والبحرين (الحموي، ١٩٧٩).

أمّا الفضة، فقد وجدت مناجم قديمة لها شرقي «القنفذة»، وعند منتصف المسافة بين «وادي قينونة» و«وادي بنا».

وعثر أيضاً على خامات الرصاص والزنك شرقي «القنفذة»، ومناجم الحديد في «وادي فاطمة»، و«صعدة»، و«نقم»، و«غمدان» (مهران، ١٩٩٤: ٢٦٣، ٢٦٤).

الأقسام السياسية والطبيعية:

لقد قسم اليونان والرومان بلاد العرب إلى ثلاثة أقسام طبيعية تتفق مع الناحية السياسية التي كانت عليها بلاد العرب في القرن الأول الميلادي، وهي: ١.بلاد العرب الصخرية (Arabia Petrae) أو (Arabia Petrac)، ٢.بلاد العرب السعيدة (Arabia Felix)، ٣.بلاد العرب الصحراوية (Arabia Deserta) (عاقل، ١٩٨٨: ٢٤؛ حتي وآخرون، ١٩٨٦: ٤٧٥؛ غلاب، ١٩٨٤: ١٨٩؛ سالم، ١٩٨٠: ٦٦؛ علي، ١٩٧٦: ١٦٣).

إن بلاد العرب الصخرية (Arabia Petrae) تشمل الأرض التي كان يسكن فيها الأنباط، والتي خضعت لنفوذ الرومان والبيزنطيين. ويُطلق ذلك الاسم -أي العربية الصخرية- على شبه جزيرة سيناء، وعلى المملكة النبطية، وعاصمتها البتراء، وعلى تبوك وشمال غرب الجزيرة العربية. وقد كانت هذه المنطقة تتوسع وتتقلص بحسب الظروف السياسية، وبحسب مقدرة العرب Jaussen، and Savignac، ١٩٠٤-١٩١٤، Musil، ١٩٢٦)).

أمّا بلاد العرب السعيدة (Arabia Felix) فالمقصود بها بلاد اليمن، أو الأرض الخضراء، وأُطلقت عليها هذه الصفة -الأرض الخضراء- لوفرة محاصيلها وتنوعها، ولاعتدال مناخها (إسماعيل، ١٩٩٧: ١٨٩)، ونتيجة لهذه الظروف الملائمة فقد قامت في تلك المنطقة مجتمعات سياسية مستقرة، ويختلف الأخباريون في سبب تسميتها باليمن، ولكن الأرجح ما ذكره ياقوت، وابن الكلبي، والقلقشندي وغيرهم عن ابن عباس، قال: «تفرقت العرب فتيامنوا إلى اليمن فسميت بذلك» (الشامي، ١٩٧٨: ١٩).

والعربية السعيدة أكبر الأقسام الثلاثة رقعة، وتشمل في رأي جواد علي كل المناطق التي يقال لها جزيرة العرب في الكتب العربية، كما يفهم من بعض المؤلفات، وليست لها حدود شمالية ثابتة لأنها كانت تتبدل على حساب الأوضاع السياسية (علي، ١٩٧٦: ١٦٤). ويذكر سترابو أن بلاد العرب السعيدة، كانت

أول أمرها داراً للأنباط والسبئين، الذين كثيراً ما أغاروا على سورية قبل أن يحكمها الرومان (البكر، ١٩٧٨: ٦٩).

أمّا بلاد العرب الصحراوية (Arabia Deserta)، التي كان يسيطر عليها الفرثيون (غلاب، ١٩٨٤: ١٨٩)، فقد كانت تطلق على بادية الشام، ثم شمل اسمها البادية الواسعة، والمناطق الصحراوية التي كانت تسكنها القبائل المتبدية في شبه جزيرة العرب كلها (سالم، ١٩٨٠: ٦٦)، وخاصة في شمال غرب الجزيرة العربية. وكانت البادية أو العربية الصحراوية، مأهولة بالقبائل العربية التي سكنتها قبل الميلاد بمئات السنين، وليس لدينا -مع الأسف- نصوص كتابية قديمة، أقدم من النصوص الآشورية التي كانت أول نصوص أشارت إلى العرب في هذه المنطقة، وذكرت أنه كانت لديهم حكومات يحكمها ملوك. وأقدم هذه النصوص، هو النص الذي يعود تاريخه إلى سنة (٨٥٤) قبل الميلاد Diodorus، ١٩، ٨٩-٩١، Doughty، ١٩٢٤)).

وقد قسم الجغرافيون العرب في شبه الجزيرة العربية، إلى خمسة أقسام كبرى هي: ١- تهامة: وتشمل المنطقة الساحلية الضيقة الموازية لشاطئ البحر الأحمر من اليمن جنوباً إلى أقصى شمال غرب الجزيرة العربية. ٢- نجد: الذي يمثل الهضبة الوسطى في شبه الجزيرة العربية. ٣- الحجاز: ويمتد بين نجد وسهل تهامة. ٤- العروض: وتشمل أراضي اليمامة والبحرين وما يليهما. ٥- واليمن: وتشمل منطقة واسعة تمتد من أقاليم تهامة إلى العروض (مهران، ١٩٩٤: ٢٣٨؛ علي، ١٩٧٦: ١٧٠).

ومن الجدير بالذكر، أن بطليموس رسم خريطة أودعها كتابه المعروف بـ: الجغرافية (Geographiki Hyphegesis)، وقد ظهرت فيها أقطار العالم المتمدن (١٥٠-١٦٠) ميلادية (البكر، ١٩٧٨: ٤٠)، وبقيت هذه الخارطة طيلة القرون التالية، مصدراً أخذ به الدارسون في مسائل الجغرافية (حتي وآخرون، ١٩٨٦: ٨٠؛ غلاب، ١٩٨٤: ١٨٩).

ولقد استقى بطليموس موادها مما رواه التجار وأهل الأسفار في ذلك العصر، فوعت مشاهداتهم وتأثراتهم (حتي وآخرون، ١٩٨٦: ٨٠)، وتعدّ هذه الخريطة أدق خريطة وضعت في العصر القديم، ومن ثم فقد ظلت هي الخريطة المستخدمة حتى بداية العصور الحديثة. وإذا أردنا أن ندرك أهمية شبه جزيرة العرب التجارية ومناطق تبوك، علينا أن ننظر إلى خريطة العالم القديم، لنرى نطاقاً صحراوياً عريضاً، يمتد من المحيط الأطلنطي حتى حدود الصين الغربية، ويفصل بين إقليمين غنيين كبيرين، هما إقليم البحر المتوسط والإقليم الموسمي.

غير أن العناية الإلهية كسرت حدة عقبة الصحراء الكؤود بشق ذراعين مائيين كبيرين يتجهان من الشمال إلى الجنوب، هما الخليج العربي والبحر الأحمر، وهذا الوضع الطبيعي لتوزيع الماء واليابسة، وموقع شبه جزيرة العرب بين الخليج العربي والبحر الأحمر، جعل شبه الجزيرة على طريق التجارة العالمية بين الشرق والغرب، بل جعلها هذا الموقع جزءاً منها، غير أن قلب الجزيرة العربية قفار مجدبة أو سهوب قليلة المرعى، ولم يكن لها دور يذكر في النشاط التجاري، واقتصر دورها على كونها ممراً للتجارة عن طريق البحر الأحمر، وظهيرة أرض الحجاز من ناحية، أو عن طريق الخليج العربي من ناحية أخرى (غلاب، ١٩٨٤: ١٩٠).

وهذا الاختلاف في الأصقاع والطبيعة، أدى إلى اختلاف الأقطار في تصديرها للبضائع والمواد التي تنتجها. فعُرفت اليمن مثلاً بالدرس والعقيق والبرود، وعرفت الشام بالرياط، ومصر بالأردية، واشتهرت الطائف بالجلود، والدباغة (الرشيد، ١٩٨٤: ١٨٩).

فهذه البضائع والمنتجات، كانت تجوب بها القوافل التجارية مناطق مختلفة لغايات التبادل التجاري النشط آنذاك، والذي كانت تحكمه شبكة طرق رئيسة وفرعية تخدم حركة هذه القوافل التجارية؛ مما ينعكس على اقتصاديات شبه الجزيرة العربية، وعلى شمال غرب الجزيرة العربية وقبائلها.



طبقات العرب

وردت لفظة «عرب» عدة مرات في الوثائق الآشورية والبابلية منذ القرن الثامن قبل الميلاد في صيغ متعددة منها: (Aribi)، و(Urbi)، و(Arbi) (سالم، ١٩٨٠: ٢٤٣) و(Aribu)، و(Arubu) و(Arub) (علي ١٩٧٦: ١٦) بمعنى البادية الواقعة إلى الغرب من بلاد الرافدين، وهي بادية العراق (سالم، ١٩٨٠: ٤٣؛ علي، ١٩٧٦: ١٧).

فقد وردت في إحدى الكتابات البابلية جملة «ماتو أربي» (Matu Arabaai) ومعنى «ماتو» أرض، فيكون المعنى «أرض عربي»، أي «أرض العرب»، أو «بلاد العرب»، أو «العربية» (علي، ١٩٧٦: ١٧).

ووجد المستشرقون والعلماء المحدثون أن أقدم نص وجدت فيه لفظة (عرب) نص آشوري يعود لسنة (٨٥٣ قبل الميلاد)، منذ أيام الملك «شلمنصر الثاني أو الثالث» ملك آشور (عاقل، ١٩٨٨: ٤٢؛ علي، ١٩٧٦: ١٦).

إذ يقرأ في النص أن الملك «شلمنصر الثالث» استطاع بفضل جيشه القوي أن يقمع فتنة قامت ضده، وكان من بين المشتركين فيها «جند يبو العربي» (عاقل، ١٩٨٨: ٤٢؛ يحيى، ١٩٨٤: ٩٢).

وقد قصد بكلمة «عرب» هنا بداوة ومشيخة كانت تحكم في أيامهم البادية، تمييزاً لها عن قبائل أخرى كانت مستقرة في تخوم البادية (علي، ١٩٧٦: ١٦)، ومنذ ذلك الحين وحتى القرن السادس قبل الميلاد، يتتالى ذكر العرب في النقوش الآشورية والبابلية؛ مما يشكل دلالة تاريخية هامة بخصوص العرب وذكرهم في النصوص القديمة.

وفي الفترة عينها، يرد في أسفار العهد القديم أن «العرب» اشتركوا مع الفلسطينيين في الهجوم على مملكة «يهوذا» على عهد ملكها «يورام» (٨٥١-٨٤٣ قبل الميلاد)، وقد بلغ عنف هذا الهجوم أن فتحوا المملكة، وهاجموا قصر الملك، وسبوا نساءه، وأسروا كل أبنائه فيما عدا واحد منهم، ونهبوا كل أمواله (يحيى، ١٩٨٤: ٩٣).

كما جاء ذكر العرب في عهد الملك «تغلا تبلاسر الثالث» (٧٤٥-٧٢٧ قبل الميلاد)، إذ دفعت ملكة عربية اسمها «زبيبي» -وهو تحريف لاسم زبيبة- الجزية إلى هذا الملك، وكانت تحكم «أربي» أي العرب، وربما كان ذلك في السنة الثالثة من حكمه (البكر، ١٩٧٨: ١٦).

أمّا في السنة التاسعة من ملكه، فقد أخبرنا أنه قهر ملكة عربية اسمها «سمسي» أو «شمسي» واضطرها إلى دفع الجزية (البكر، ١٩٧٨: ١٦).

وذكرت الكتابات المسمارية في العهد البابلي الثاني (الكلداني) لفظة «العرب»، ففي عهد الملك الكلداني «نبونيد» (٥٥٥-٥٣٨ قبل الميلاد) جهّز في السنة الثالثة من حكمة حملة على «أدمو» (دومة الجندل)، ومنها سار إلى تيماء يرافقه جيش «أكد»، ولما وصل إليها فتك بأميرها، وأعمل السيف بأهلها (البكر، ١٩٧٨: ٢١).

وظهرت لفظة (Arabaya) أيضاً فيما يقرب من سنة (٥٣٠ قبل الميلاد) في النصوص الفارسية المكتوبة بالأخمانية بمعنى البادية الفاصلة بين العراق والشام، بما فيها شبه جزيرة سيناء (علي، ١٩٧٦: ١٧).

كذلك وردت اللفظة في الأسفار القديمة من التوراة بمعنى البدو، ففي كل المواضع التي وردت فيها في سفر «أشعياء (Isaiah) مثلاً، نرى أنها استعملت بمعنى بداوة وإعرابية (علي، ١٩٧٦: ١٨). أمّا التلمود فقد قصدت بلفظة «عرب» و«عربيم» (Arbi›im›) «الأعراب» كذلك، أي المعنى نفسه الذي ورد في الأسفار القديمة (علي، ١٩٧٦: ٢١).

وأصبح هذا اللفظ مألوفاً فيما بعد ذلك عند جميع كتاب اليونان، إذ أخذوا يذكرون لفظة «عرب» في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد (سالم، ١٩٨٠: ٤٤).

وبالتحديد، أول من ذكر العرب من اليونان هو «أسكيلوس» أو «أخيلوس» (Aeschylus) (٥٢٥-٤٥٦ قبل الميلاد) من أهل الأخبار منهم، ذكرهم في كلامه على جيش «أحشويرش» (Xerxes)، وقد أطلق لفظة (Arabae) على بلاد العرب، والبادية، وجزيرة العرب، والأرضين الواقعة إلى الشرق من نهر النيل (علي، ١٩٧٦: ٢١).

ولم ترد لفظة «عرب» في المصادر العربية الأثرية إلا متأخراً، فقد جاءت في النقوش السبئية المتأخرة التي لا يرجع تاريخها إلى أبعد من القرن الأول قبل الميلاد (سالم، ١٩٨٠: ٤٤)، ولكنها وردت في هذه النقوش بمعنى «الأعراب»، على حين كان أهل المدن يُعرفون بمدنهم أو بقبائلهم (سالم، ١٩٨٠: ٤٤؛ علي، ١٩٧٦: ٢٣).

كذلك ورد اللفظ في نقش شاهد النمارة الذي يعود للقرن الرابع قبل الميلاد، والمكتوب بالعربية وبالآرامية النبطية (الشامي، ١٩٧٨: ٢٤)، إذ يقول النقش: «هذا جثمان امرؤ القيس بن عمرو، ملك العرب جميعاً، الذي عقد التاج وملك قبيلتي أسد ونزار وملوكهم..» (مهران، ١٩٩٤: ٦٢). وورد أيضاً في نص أبرهة - نائب الحبشة على اليمن- لفظة «أعرب» بمعنى «أعراب» (علي، ١٩٧٦: ٢٣).

ويرى فريق من العلماء أن كلمة «عرب» ذات صلة بكلمة (A، ra›abh›a) «عرابا» العبرية التي تعني «الأرض المظلمة» أو «السهوب»، أو بكلمة (Erebh) «عيريب» العبرية أيضاً التي تدل على الحياة «الفوضى» أو «غير المنظمة» (عاقل، ١٩٨٨: ٤٢؛ الشامي، ١٩٧٨: ٢٤).

وتقسم العرب إلى طبقات من ناحية القدم والتقدم في العربية، وهو تقسيم لا نجد له ذكراً لا في التوراة أو الموارد اليهودية الأخرى، ولا في الموارد اليونانية، أو اللاتينية، أو السريانية (مهران، ١٩٩٤: ٢٩٤). ويظهر أنه تقسيم عربي خالص، نشأ من الجمع بين العرب الذين ذُكر أنهم بادوا قبل الإسلام وبين العرب الباقين (البكر، ١٩٧٨: ١١٤؛ علي، ١٩٧٦: ٢٩٥).

فيكاد الرواة والإخباريون يتفقون على أن العرب ينقسمون إلى ثلاث طبقات: العرب البائدة، العرب العاربة، والعرب المستعربة أو المتعربة (حتي وآخرون، ١٩٨٦: ٦٠؛ سالم، ١٩٨٠: ٤٨؛ البكر، ١٩٧٨: ١١٣؛ علي، ١٩٧٦: ٢٩٤).

العرب البائدة: الشعوب العربية القديمة التي كانت تعيش في جزيرة العرب (سالم، ١٩٨٠: ٤٨)، ثم بادت ولم يبق من آثارهم شيء إلا ما ذكره القرآن الكريم والأخبار العربية النقلية. وقد دُرست أخبارهم بعاملين: الرمل الزاحف الذي طغى على العمران القديم في أواسط شبه الجزيرة وفي الأحقاف، وهياج البراكين وما ترتب عليه من تدمير المدن (فروخ، ١٩٦٤: ٤٥).

ومن قبائل العرب البائدة: عاد، وثمود، وطَسم، وجَديس الأولى (معروف، ١٩٧٥: ٧٨)، وأميم وجاسم، وعبيل، والعمالقة، وحضورا (علي، ١٩٧٦: ٢٩٥)، والموذ، والسلف (البكر، ١٩٧٨: ١١٤).

أمّا العرب العاربة: فهم الراسخون في العروبية والمبتدعون لها، بما كانوا أول أجيالها. وينقسمون إلى «قحطان» أو «يقطان» الذي ورد اسمه في التوراة (سالم، ١٩٨٠: ٤٨، ٤٩)، والذي اختلف النسابون في أنه من ذرية إسماعيل بن إبراهيم، أم أنه من ذرية سام بن نوح، ويكاد الرأي يجمع على أنه من ولد سام (الشامي، ١٩٧٨: ٢٧).

وقد سكن القحطانيون اليمن وحضرموت، وكانوا على جانب من الاستقرار والتحضر، فقد عرفوا شيئاً من الزراعة والتجارة والصناعات اليدوية البسيطة، وورد ذكرهم في كتابات سترابون. وورد في جغرافية بطليموس اسم قريب من قحطان هو (Katanitne)، ولربما يكون هذا اسماً لموضع



لا علاقة له «بقحطان». كما ورد في نصوص المسند قبيلة عرفت بقبيلة «قحطن»، إذ لا يستبعد أن يكون لاسمها علاقة «بقحطان» (البكر، ١٩٧٨: ١٣٦). ومن أهم القبائل العربية في الجنوب (القحطانية): «جرهم»، و«يعرب» (الشامي، ١٩٧٨: ٢٨).

وأما العرب المستعربة، فيُنسبون إلى عدنان ابن أدد. وقد سموا بالعرب المستعربة لأن إسماعيل عندما نزل مكة كان يتكلم العبرانية أو السريانية، فلما صاهر اليمنية تعلم العربية (سالم، ١٩٨٠: ٤٩؛ البكر، ١٩٧٨: ١٣٩) ويقال لهم: العدنانيون، أو النزاريون، أو المعديون (الشامي، ١٩٧٨: ٢٨؛ البكر، ١٩٧٨: ١٣٩). وموطنهم الأول مكة على ما يستنبط من كلام الإخباريين، فيها تعلم إسماعيل العربية، وفيها أنجب أولاده؛ فهي إذن المهد الأول للإسماعيليين (علي، ١٩٧٨: ٣٧٥).

وقال ابن منظور: «أول من أنطق الله لسانه بلغة العرب يَعرُب بن قحطان، وهو أبو اليمن كلهم، وهم العرب العاربة. ونشأ إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، فتكلم بلسانهم، فهو وأولاده العرب المستعربة، وقيل أن أولاد إسماعيل نشئوا بعربة، وهي من تهامة، فنسبوا إلى بلدهم» (ابن منظور، اللسان: حرف العين).

وقد كانوا بدواً، أهل خيام وإبل ورحلة وغزو، عرفوا كذلك باسم أهل العرب، وكانوا لا يستقرون في مكان بحثاً عن المرعى والمياه، لا يبنون بيوتاً ولا ينشئون مدناً، على خلاف أهل الجنوب (الشامي، ١٩٧٨: ٢٩). ولكن الغريب في الأمر أن اسم عدنان غير موجود في النصوص الجاهلية، ولم يرد ذكره عند المؤلفين اليونان والرومان، كما لم يَذكر عدنان جاهلي قط، غير لبيد بن ربيعة الكلابي في بيت واحد من شعره (البكر، ١٩٧٨: ١٤٢). ومن أهم قبائل عرب الشمال (العدنانيون): «معد» (الشامي، ١٩٧٨: ٣٠).

واتفق الإخباريون أيضاً على تقسيم العرب من حيث النسب إلى قسمين: قحطانية منازلهم الأولى في اليمن، وعدنانية منازلهم الأولى في الحجاز (مهران، ١٩٩٤: ٢٩٤؛ علي، ١٩٧٦: ٢٩٤). وقد كان عدنان في نظر العدنانيين هو جدهم الأعلى، كما أن قحطان هو الجد الأعلى للقحطانيين (علي، ١٩٧٦: ٣٧٥).

ويرى النسابون العرب أن العرب عرق لا جماعة من الناس فقط يتكلمون لغة واحدة، ويتألف هذا العرق من عدد من الرجال والنساء لا حصر لهم ينحدرون من أحد جدين (قحطان وعدنان). ولكن هنالك خلافاً كبيراً بين النسابين حول نوعية الصلة أو القرابة التي تربط بين هذين الجدين اللذين ينحدر منهما العرق العربي (عاقل، ١٩٨٨: ٣٢).

ويفرق المؤرخون بين عرب الجزيرة العربية، فيقسمونهم إلى قسمين آخرين أيضاً: عرب الشمال وعرب الجنوب (كحالة، ١٩٧٩: ٣٠؛ معروف، ١٩٧٥: ٧٨).

عرب الشمال: وهم عبارة عن إمارات أو ممالك صغيرة وجدت في القسم الشمالي من شبه الجزيرة (يحيى، ١٩٨٤: ٩٦)، وقد سكنوا في الحجاز، ونجد، وأواسط بلاد العرب، وكانوا يتكلمون العربية الخالصة وهي لغة القرآن الكريم (حتي وآخرون، ١٩٨٦: ٥٩؛ معروف، ١٩٧٥: ٧٩). ومن أقدم دولهم: دولة الأنباط، الدولة التدمرية، دولة الغساسنة، ودولة المناذرة.

عرب الجنوب: وقد كان تكوينهم السياسي تشكله ممالك قامت في جنوبي شبه الجزيرة، وكانت هذه الملكيات أكثر ثباتاً واستقراراً وأقل اعتماداً على الظروف العارضة من الممالك الشمالية (يحيى، ١٩٨٤: ٩٩). وقد عاشوا في اليمن وحضرموت، وكانت لغتهم السبئية أو الحميرية (حتي وآخرون، ١٩٨٦: ٥٩؛ الشامي، ١٩٧٨: ٢٨؛ معروف، ١٩٧٥: ٧٩). ومن أقدم دولهم: الدولة المعينية، الدولة السبئية، الدولة الحميرية، ودولة كنده.

منطقة تبوك:

الموقع

إن الموقـع الجغـرافي والاسـتراتيجي، لمنطقة تبـوك جعلها منطقة جـذب سـكاني، ازدهرت فيها التجارة بسبب هذا الموقع الهام.

وكانـت تبـوك موطنـاً للقبائـل العربيـة قبـل الإسـلام وبعده، نظراً لموقعها المتميز، وخاصة توافر المياه حيـث كـثرت عيـون المياه حولها، خاصـة في الأوديـة، ومنها: الـوادي الأخضـر، ووادي الرقراق، ووادي أتانـه، ووادي الرشـدان، ووادي السـدير، ووادي القصـة، ووادي الرمضـة، وغيرها (سـيف، ١٩٩٦: ٤٥).

المساحة الإجمالية:

تبلـغ مسـاحة منطقـة تبـوك (١١٧٠٠٠) كيلو متراً مربعاً. وتمثل حوالي (٥٪) من مسـاحة المملكة العربية السـعودية، أما مسـاحة مدينـة تبوك فتبلغ (٣٠٠٠٠) هكتار.

المعالم الطبيعية:

تتكـون منطقـة تبـوك مـن خمسـة معـالم طبوغرافية وهي من الغرب إلى الشرق، كالتالي:

- سهل البحر الأحمر بعرض يتراوح بين (١ – ٥٠) كيلو متراً، ويتميز بحره بجمال شواطئه البحرية الغنية بالشعاب المرجانية.
- سلسـلة جبـال الحجاز أعلى قمـة فيها (٢٥٠٠) متر عن سطح البحر.
- هضبة حسـمى متوسـط ارتفاعها (١٠٠٠) متر عن سطح البحر.
- الحوض والهضبة الداخلية.
- صحراء النفوذ الكبرى إلى الشرق من تيماء.



خريطة لمنطقة تبوك تبين المحافظات التابعة لها

الجيولوجيا ومصادر المياه:

يتألف التركيـب الجيولوجي للإقليم في منطقة الدرع العربي ببروز في صورة الصخور لسلسلة جبال الحجاز، والهضـبة الصـخرية العربية، والتي تتكون من تسلسل طبقات رسوبية، تبرز في صورة أحواض، وهضـبات داخلية، وتختزن هذه الطبقات الصخرية الرملية المياه في داخلها.

وتعد تبوك المصدر الرئيسي للمياه في المنطقة. وتعدّ المنطقة من المناطق الزراعية،

وبلغـت مسـاحة الرقعـة المزروعـة في سـنة (١٤٢٠هــ) حـوالي (٢٢٨٣٨٤) هكتـار، وتركـز (٧٠٪) منها حول مدينة تبوك.



وتتنــوع مصــادر المياه في المنطقة مــا بين الابار الجوفية والابار الارتوازية والعيون والينابيع المنتشرة في أماكن متعددة من المنطقة.

محافظات منطقة تبوك

تعــد مدينــة تبوك مركــز المنطقــة وفيها مركز إمارة المنطقة التي تتبع لها خمس محافظات هي:

محافظة تيماء:

كانــت تيمــاء تابعــة لأمــارة حائــل قديمــاً، ثم أصــبحت تابعة لتبوك في الوقت الحاضر، وتبعد عن تبوك (٢٢٥) كيلو متراً.

محافظة أملج:

تقع أملــج على البحر الأحمــر قريباً من مدينة ينبع، وتبعد عن تبوك (٣٢٠) كيلو متراً.

محافظة الوجه:

تقــع الوجه جنوب ضــباء على البحــر الأحمر، وتبعد عن تبوك (٣٥٠) كيلو متراً.

محافظة ضباء:

تقع ضــباء على البحر الأحمر، وتبعد عن تبوك (١٨٠) كيلــو مــتراً، ويعد ميناء ضــباء أحــد الموانئ المهمة بالمملكة العربية السعودية.

محافظة حقل:

تقع حقــل على رأس خليج العقبــة، بالقرب من مدينــة العقبة الأردنية، وتبعد عن تبوك (٢٠٠) كيلو متراً، وهــي مدينة مجــاورة لحدود المملكــة العربية السعودية مع المملكة الأردنية الهاشمية.

ويقــع في منطقــة تبــوك ومحافظاتهــا حــوالي (٢٠٠) قرية.

تسلسل العصور الزمنية لمنطقة تبوك:

أولاً- العصــور الحجريــة (Paleolithic) (١،٥٠٠،٠٠٠- ٣،٧٥٠) قبل الميلاد:

تبــدأ العصــور الحجريــة (عصــور مــا قبــل التاريخ)، حينما أصــبح الإنســان صــانعاً للأدوات، ومعظــم ما بقــي لنا من هــذه الأدوات مصــنوع من الحجــر، ومــن هنــا جــاءت التســمية. وقد كشــفت عمليــات البحث الأثري في مناطق تبوك أن الإنســان قد ســكنها منذ أقدم العصــور وبالتحديد مابين ٨٠ ألف عام وحتى ٤ آلاف عام قبل الميلاد (أنجراهام، مايكل وآخرون، ١٩٨١: ٥٣-٦٠).

وتعد منطقة جبل اللوز من أقدم المناطق الأثرية ويعود أقدم تاريخ فيها إلى حوالي ٢٠ ألف ســنة قبل الميلاد (الأنصاري، ٢٠٠٢: ٨٥)، كما تعد آثار تيماء وقرية، من أقدم الحضــارات التي ســكنها الإنســان القــديم، منذ العصــر الحجري القديم، والمتوســط، والحديث في شمال غرب المملكة العربية السعودية.

وقد أشــارت أعمال البحث الأثــري في المنطقة إلى عــدد مــن المواقــع الأثريــة التــي تعــود للعصــر الحجري الحديث ((Neolithic) ٩٠٠٠-٤٥٠٠ قبل الميلاد)، كموقع (مصــير الخراج) في البدع، وموقع (أبا البيبان) بالقرب من جبل اللوز، وتوجد بالقرب من هذا الموقع أيضــاً موقــع (أم سيســبان)، وموقع (أبــا العجل)، وموقــع (القصــيبة)، وهنالك مواقع أثرية أخرى قريبة، مثل (شــعيب النخلة)، و(عريق اليســري)، والجشــ (مصــيون)، و(جبــل حيفا)، وتكــثر في هــذه المواقــع الأثريــة القديمــة، الأدوات الحجرية الصــوانية المصــنعة، مثل رؤوس السهام، والمثاقب الكبيرة والصــغيرة، والســكاكين المســننة، والشــفرات، والمكاشــط، بالإضــافة إلى الرســومات الصخرية المتنوعة (الأنصاري، ٢٠٠٢: ٣١ – ٣٣).

ويعتقد أبو درك أن الاستيطان البشري في شمال غرب الجزيرة العربية، يرجع إلى العصر الحجري القديم، ولكن لا يوجد أي دليل يؤيد هذا الاعتقاد، إلا أن هناك بعض الدلائل التي تبرر افتراض استيطان بشري متنقل أو دائم في موقع تيماء يعود إلى الألف الرابع قبل الميلاد، إلا أن هذا الدليل لم يؤكد إلى اليوم (أبو درك، ١٩٩٨: ٧).

وتنتهي العصور الحجرية باختراع الكتابة وتبدأ العصور التاريخية، إذ إننا بوجود الوثائق المكتوبة نستطيع التحدث عن شعوب بأسمائها، وما جرى لتلك الشعوب من أحداث وتطورات.

١- العصر الحجري القديم (Paleolithic) **(١,٥٠٠,٠٠٠ - ١٧,٠٠٠) قبل الميلاد:**

عاش الإنسان في هذا العصر صياداً وجامعاً للقوت بالقرب من مصادر المياه في الغالب، وقام الإنسان في هذا العصر بصنع أدواته من الصوان، مثل الفأس اليدوي، والمكاشط لتنظيف الجلود، ورؤوس الرماح القصيرة، والسكاكين للقطع، إضافةً لأدوات أخرى صنعت من العظام والأخشاب، لكن لم يتم العثور إلا على عددٍ قليل من هذه الأدوات، بسبب طبيعة المادة التي صنعت منها وتعرضها للخراب.

وقد قسم هذا العصر إلى ثلاث مراحل، وهي:

أ-المرحلة الأولى من العصر الحجري القديم (١,٥٠٠,٠٠٠-١٠٠,٠٠٠) قبل الميلاد:

جاءت البقايا الأثرية التي تعود للمرحلة الأولى من العصر الحجري القديم قليلةً، إذا ما قورنت مع المراحل اللاحقة، إذ أقامت السلالات البشرية الأولى بداية الأمر في العراء، ثم أقامت في مداخل الملاجئ الصخرية، والكهوف الطبيعية، دون الدخول إلى أعماقها المظلمة، وفي نهاية المرحلة أقام الإنسان لنفسه كوخاً بسيطاً من الحجارة وأغصان الأشجار والجلود (هاردنج، ١٩٨٣: ٢٤؛ المحيسن، ٢٠٠٨: ٤).

ب-المرحلة الثانية من العصر الحجري القديم (١٠٠,٠٠٠-٣٨,٠٠٠) قبل الميلاد:

أقام الإنسان في المرحلة الثانية من العصر الحجري القديم في المناطق الجغرافية المختلفة، سواءً أكان ذلك في الصحاري، أم المرتفعات الجبلية، أم السواحل. فقد سكن الإنسان داخل الكهوف، بالإضافة لمواقع العراء، إذ ارتبطت عملية السكن في الكهوف بالقدرة على إشعال النار، لأن الكهف يشكل مصيدة للإنسان الضعيف أمام غيره من الأحياء، وبناءً على هذا فإن الوظيفة الأولى للنار كانت كسلاح، وازدهرت صناعة الأدوات الصوانية، وأصبحت دقيقةً جداً، وقام بتصنيع أدوات جديدة عوضاً عن الفؤوس اليدوية، وتكونت من مكاشط متعددة الأشكال والأنواع، بالإضافة إلى رؤوس الرماح القصيرة، وكان إنسان هذه المرحلة أول من دفن موتاه (أبو طالب، ١٩٧٨: ٥٠؛ المحيسن، ٢٠٠٨: ٥).

ج-المرحلة الثالثة من العصر الحجري القديم (٣٨,٠٠٠-١٧,٠٠٠) قبل الميلاد:

شهدت المرحلة الثالثة من العصر الحجري القديم اختفاء الأدوات المصنعة في الفترة السابقة، وظهور أدوات جديدة مكونة من نصال طويلة، ومكاشط علوية، ومناقيش، وأصبحت الأدوات الخشبية هي الشائعة في هذه المرحلة.

٢- العصر الانتقالي بين الإنسان الصياد، والجامع للقوت، وبين الإنسان المنتج-Epi Paleolithic)) (١٧,٠٠٠-٨,٥٠٠) قبل الميلاد:

حدثت تغيرات في الأحوال المناخية في هذا العصر، مما كان له أثر في تغير الغطاء النباتي، والحيواني، وبالتالي توزيع المجموعات البشرية في المناطق التي يتوافر بها الغذاء، وقد تكيّفَ الإنسان مع المعطيات الجديدة، إذ جمع بذور الأعشاب البرية، وتخصص في الصيد وأكل أنواع محددة من الحيوانات، وتم الكشف عن عدد من أدوات الطحن والجرش، إضافة إلى المنجل الذي استعمل في قطع



الأعشاب البرية، وكذلك صنارة صيد الأسماك المصنوعة من العظم (المحيسن، ٢٠٠٨: ٥).

وقسم هذا العصر إلى الثقافتين التاليتين:

الثقافة الكبارية (١٧,٠٠٠-١٠,٠٠٠) قبل الميلاد، أطلق على هذه المرحلة اسم الكبارية، وتقسم لمرحلتين:

أ. الكبارية غير الهندسية (١٧,٠٠٠- ١٢,٠٠٠) قبل الميلاد.

ب. الكبارية الهندسية (١٢,٠٠٠- ١٠,٠٠٠) قبل الميلاد.

الثقافة النطوفية (١٠,٠٠٠-٨,٥٠٠) قبل الميلاد، أطلق على هذه المرحلة اسم النطوفية، وتقسم لمرحلتين:

أ. المرحلة المبكرة (١٠,٠٠٠-٩,٠٠٠) قبل الميلاد.

ب. المرحلة المتأخرة (٩,٠٠٠-٨,٥٠٠) قبل الميلاد.

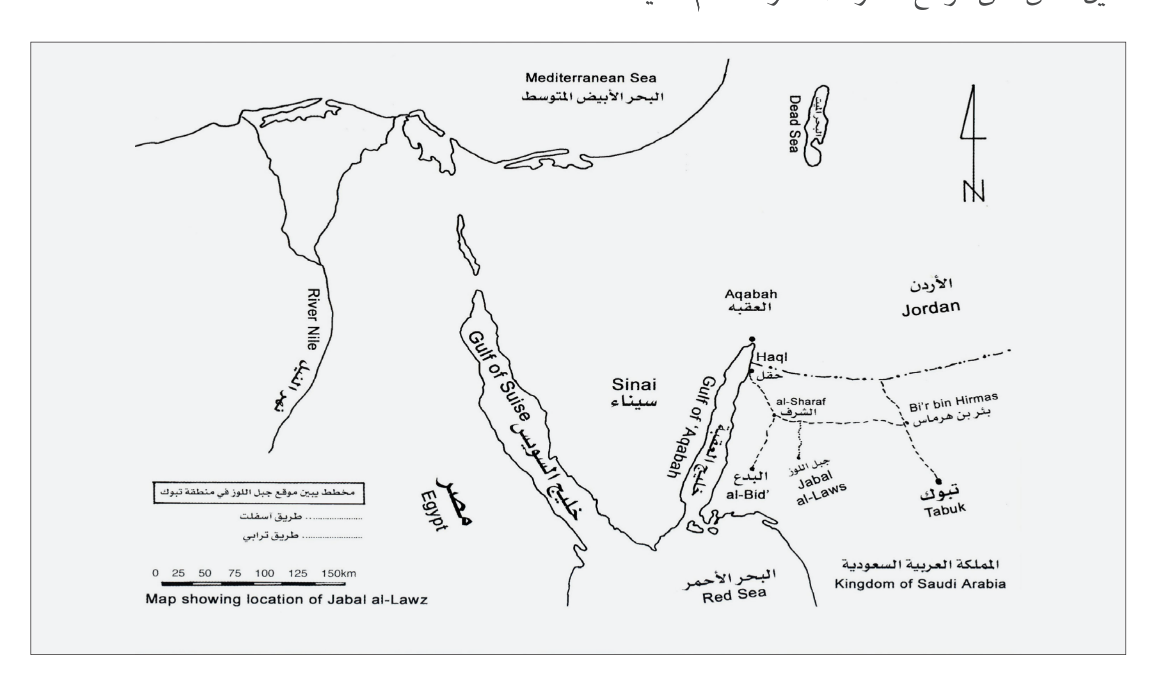
تمتاز المرحلة المبكرة عن المرحلة المتأخرة، باستعمال طريقة صناعة المناقيش الصغيرة، وصنعت فيها أدوات ميكروليثية هندسية دقيقة الشكل مشذبة، وتوصف مواقعها بأنها مخيمات غير ثابتة، وتركزت في مناطق سواحل البحر والبحيرات والوديان، علي حين أطلق على مواقع الفترة المتأخرة اسم مخيمات استثمارية. ومن المواقع الأثرية التي تعود إلى المرحلة النطوفية المتأخرة في تبوك، موقع شعيب النخلة الذي يقع إلى الجنوب الغربي من البدع.

كما تم استعمال العظام في صناعة الأدوات والزخارف، إذ تم العثور على مجموعة من المخارز، والخرز، والدلايات، إضافة إلى مقابض المناجل، التي استعملت في حصد الأعشاب البرية (أبو طالب، ١٩٧٨: ٥٠؛ المحيسن، ٢٠٠٨: ٦).

ومن المواقع الأثرية التي تعود إلى العصر الحجري القديم في تبوك وشمال غرب الجزيرة العربية موقع تيماء (أبو درك، ١٩٩٨: ٧).

٣- العصر الحجري الحديث (Neolithic) (٨،٥٠٠-٣،٧٥٠) قبل الميلاد:

انتقل الإنسان في هذا العصر من حياة الصيد وجمع القوت والتنقل إلى التدجين والزراعة والصيد والاستقرار في قرى ثابتة، وتطورت قرى الناطوفيين لتصبح أكبر مساحةً وأفضل تنظيماً من السابق، وتركزت القرى بالقرب من المصادر المائية الدائمة.



خريطة للمواقع الأثرية القديمة في منطقة تبوك، ويظهر في وسطها موقع جبل اللوز (الأنصاري، ٢٠٠٢: ١٤٥)

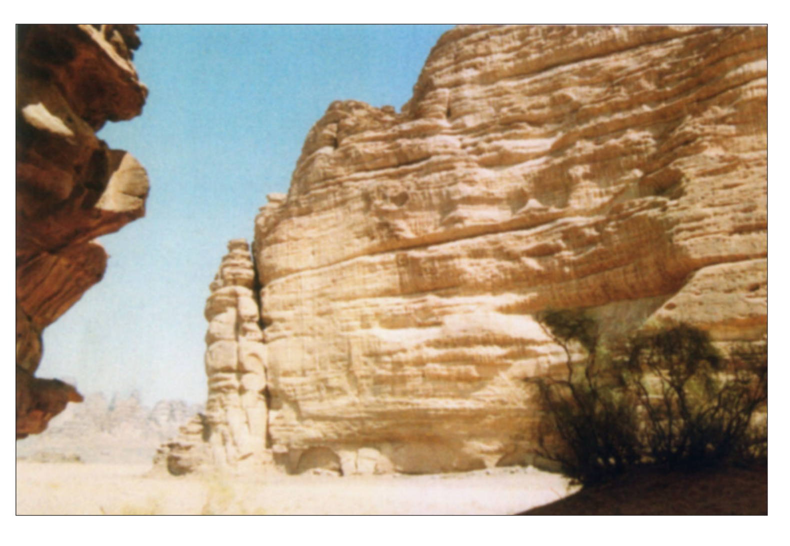
ومن أهم المواقع الأثرية التي تعود لهذا العصر في منطقة تبوك، موقع (مصير الخراج) في البدع، وموقع (العينية) الأثري في البدع، وموقع (قرية الأثري في البدع أيضاً. وهنالك مواقع أخرى في تبوك، سبقت الإشارة إليها كموقع (أبا البيبان)، بالقرب من جبل اللوز، وتوجد بالقرب من هذا الموقع أيضاً موقع (أم سيسبان)، وموقع (أبا العجل)، وموقع (القصيبة)، وموقع الجش (مصيون)، وتكثر في هذه المواقع الأثرية القديمة، الأدوات الحجرية الصوانية المصنعة، والرسومات الصخرية المختلفة (الأنصاري، ٢٠٠٢: ٣١ - ٣٤).

لقد حصل تطور على صناعة الأدوات الصوانية في هذا العصر، لتتناسب وحاجات الإنسان الجديدة، فزادت صناعة الشفرات والمناجل ورؤوس السهام، وتنوعت أشكال المثاقب والسكاكين والمكاشط، وصنع الإنسان أدوات جديدة لخزن الطعام والشراب من الحجر الجيري في البداية، ثم استخدمت الأواني الفخارية منذ الألف السادس قبل الميلاد، ويعدّ اختراع صناعة الفخار من أعظم إنجازات هذا العصر، بالإضافة إلى الزراعة والتدجين، وتم الاعتماد على الفخار منذ هذا التاريخ، لمتابعة تطور الحضارة وانتشارها (الأداة الأفضل للتأريخ النسبي) (أبو طالب، ١٩٧٨: ٥١).

كما وصلت العلاقات الإنسانية المتبادلة نظاماً واسعاً، إذ عثر على بعض الأدوات المصنوعة من الأوبسديان المستورد من بلاد الأناضول، كما حصل تطور هام في الفنون والمعتقدات الأخرى، يظهر من خلال المخلفات الأثرية التي عثر عليها. وقد تم العثور في موقع (أبا البيبان) في جبل اللوز على مجموعة من الرسومات القديمة التي تمثل أشكالاً بشرية ورسومات للأبقار والماعز وبعض الرسوم الملونة التي تعاصر الرسوم في موقع شتال هيوك في تركيا، والتي يعود تاريخها إلى فترة النيوليثيك ((Mellaart، ١٩٦٥: ٢٦.


صورة مأخوذة لموقع الجش (مصيون) بالقرب من جبل اللوز (الأنصاري، ٢٠٠٢: ١٠٩)


صورة للأدوات الصوانية من موقع الجش (مصيون) بالقرب من جبل اللوز (الأنصاري، ٢٠٠٢: ١٤٢)


صورة مأخوذة لموقع (أبا البيبان) بالقرب من جبل اللوز (الأنصاري، ٢٠٠٢: ١١٠)





صورة لرسومات تمثل أشكالاً للبقر مرسومة على الصخور في موقع (أبا البيبان) في جبل اللوز (الأنصاري، ٢٠٠٢: ١٢١)



صورة لرسومات تمثل صيد الحيوانات مرسومة على الصخور في موقع أبا البيبان في جبل اللوز (الأنصاري، ٢٠٠٢: ١٢٤)

وقد قسم هذا العصر إلى فترتين هما:

- العصر الحجري الحديث المبكر ما قبل الفخاري (٨,٥٠٠-٥,٥٠٠) قبل الميلاد.
- العصـر الحجـري الحديـث المتأخـر الفخـاري (٥,٥٠٠-٣,٧٥٠) قبل الميلاد.

اسـتطاع الإنسان في العصـر الحجري المتأخر تصـنيع أوانٍ من مادة الصلصال، أطلق عليها اسم (الفخار الأسود المصقول) (أبو طالب، ١٩٧٨: ٥٣).

ثانياً- العصر الحجري النحاسي (Chalcolithic) **(٣,٧٥٠-٣,٢٠٠) قبل الميلاد:**

تشابهت المخلفات الأثرية العائدة لنهاية العصر الحجري الحديث، مع المخلفات العائدة للعصر الحجري النحاسي، لذا يصعب الفصل في بعض الأحيان بين هذين العصرين، أما النحاس، وهو ميزة هذا العصر، فقد انتشر استعماله ببطء في أنحاء الشرق القديم المختلفة.

وعلى الرغم من قيام الإنسان بصهر النحاس واستخدامه في صناعة أدواته المختلفة، إلا أن الأدوات الصوانية بقيت الأكثر استعمالاً وانتشاراً، بالإضافة إلى العثور على مجموعة من الأدوات العظمية ذات الرؤوس المدببة، التي ربما استخدمت كإبر، ومثاقب، كما استخدمت العظام في تصنيع الحلي الزخرفية (أبو طالب، ١٩٧٨: ٤٧، ٤٨).

أما الأواني الفخارية فقد جاءت أكثر تنوعاً، وأفضل صنعاً من الفترات السابقة، فقد وجدت أشكال زخرفية مدهونة متعددة، وتكونت من الأشكال الهندسية، أو الخطوط، والتحزيز، على شكل خطوط أفقية أو متوازية أو متموجة، إضافةً إلى الحبال الصلصالية، وتم إضافتها حول بدن الأواني كبيرة الحجم، وزخرفت بواسطة ضغطها بإصبع الإبهام. وتم استخدام طريقتين في تصنيع الأدوات الفخارية هما: الطريقة القديمة بواسطة اليد، وخاصة لتشكيل الأواني كبيرة الحجم، والطريقة الثانية بواسطة الدولاب، لتصنيع الأكواب والأواني صغير الحجم (المحيسن، ٢٠٠٨: ٨ – ٩).

ومن المواقع التي تعود إلى هذا العصر في مناطق تبوك، الديسة، والعينية، وموقع قرية. وتوجد في تبوك مجموعات من الرسوم الملونة، التي يعود تاريخها إلى حوالي (٤٥٠٠- ٤٠٠٠) قبل الميلاد، ورسوم منقوشة على الصخور، يعود تاريخها إلى حوالي (٣٠٠٠- ١٥٠٠) قبل الميلاد.

وتنتشر هذه النقوش والكتابات في مناطق وادي ضم، ووادي البقار، ووادي العصافير في تبوك (أنجراهام، مايكل وآخرون، ١٩٨١: ٥٣-٦٠). كما أن المسوحات الأثرية لمناطق تيماء دلت على أنها سكنت في العصر الحجري الحديث والعصر الحجري النحاسي (أبو درك، ١٩٩٨: ٧).

ثالثاً- العصر البرونزي (Bronze age) **(٣,٢٠٠-١,٢٠٠) قبل الميلاد:**

سُمِّيَ العصر البرونزي بهذا الاسم نسبةً إلى البرونز، الذي بدأ الإنسان باستخدامه في صناعة بعض أدواته، والتطور الأهم الذي حدث مع بداية هذا العصر، هو انتشار المواقع المسورة «المدن» في أنحاء الشرق القديم كافة، وقد نجم عن استقرار جزءٍ كبير من سكان الشرق القديم في المدن، وظهرت أوضاع اقتصادية معقدة، كانت الحافز الأول إلى اختراع الكتابة (أبو طالب، ١٩٧٨: ٥١).

وقد قسم العصر البرونزي إلى ثلاث مراحل، ولكل مرحلة تقسيمات فرعية أيضاً، وهي:

العصر البرونزي المبكر (٣,٢٠٠-٢,٠٠٠) قبل الميلاد:

وهو أول مراحل التمدن، إذ بنى الإنسان في النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد مواقع محصنة، مما أدى إلى ظهور المدينة، ونشأ مجتمع لديه دوافع اقتصادية، تمخض عنها تكوين دولة، وسمي هذا النظام بنظام «المدينة الدولة» أو «دويلات المدن» أو «مملكة المدينة» باعتبار أن كل مدينة تكون دولة مستقلة استقلالاً ذاتياً (ياسين، ١٩٩١: ١٣).

العصر البرونزي المتوسط (٢,٠٠٠-١,٥٥٠) قبل الميلاد:

تم تقسيم العصر البرونزي المتوسط إلى مرحلتين:

- العصر البرونزي المتوسط الأول (٢,٠٠٠-١,٨٠٠) قبل الميلاد.
- العصر البرونزي المتوسط الثاني (١,٨٠٠-١,٥٥٠) قبل الميلاد.



أ- العصر البرونزي المتوسط الأول (٢,٠٠٠-١,٨٠٠) قبل الميلاد:

أصبحت البلاد في هذا العصر أقل عزلةً عما كانت عليه في السابق، وبعد أن هجر الناس مدن العصر البرونزي المبكر، عادوا إليها مرة ثانية في هذا العصر، وما أن مرت فترة قصيرة حتى كبرت هذه المدن، وزاد عدد المستوطنات، وزِيدَ من تحصين المدن، كما أقيمت مدن جديدة تقع على طرق القوافل في أماكن يسهل الدفاع عنها (أبو طالب، ١٩٧٨: ٥٢).

ب- العصر البرونزي المتوسط الثاني (١,٨٠٠-١,٥٥٠) قبل الميلاد:

ويعرف العصر البرونزي المتوسط الثاني باسم (عصر الهكسوس) (١٧٢٠-١٥٧٠) قبل الميلاد، وهي فترة من أزهى ما مرَّ على المنطقة في تاريخها القديم، ومعظم معالمها استمرار لآثار الفترة السابقة، لكنها تميزت بنوع جديد من التحصينات (الجدران الزلقة).

العصر البرونزي المتأخر (الحديث) (١,٥٥٠-١,٢٠٠) قبل الميلاد:

وقد قسم هذا العصر إلى ثلاث مراحل، هي:

- العصر البرونزي المتأخر الأول (١,٥٥٠-١,٤٠٠) قبل الميلاد.
- العصر البرونزي المتأخر الثاني (١,٤٠٠-١,٣٠٠) قبل الميلاد.
- العصر البرونزي المتأخر الثالث (١,٣٠٠-١,٢٠٠) قبل الميلاد.

ومن المواقع التي تعود إلى العصور البرونزية في تبوك وشمال غرب الجزيرة العربية موقع تيماء (أبو درك، ١٩٩٨: ٧)، والديسة، والعينية، وقرية.

تم الكشف أثناء المسوحات الأثرية عن بعض اللقى الفخارية من نوع متميز، تعود إلى أواخر الألف الثاني قبل الميلاد، أحدها في تيماء، وقد نشر (ونيت وريد) صوراً للفخار المزخرف بتهشيرات متقاطعة، على قطعتين تحملان تشابهاً وثيقاً مع الفخار الذي يعود إلى أواخر الفترة البرونزية وبداية والحديدية، وعثر على قطع فخارية مثلها في ذيبان والمواقع الأدومية والمؤابية في الأردن، وأول من اكتشفها نلسن جلوك.

ويذكر بيتر بار أن هناك تشابهاً وثيقاً بين الرسوم المشكلة على هذا الفخار، الذي اكتشف في مناطق شمال غرب الجزيرة العربية، وأنواع من الفخار الإيجي والفخار القادم من بلاد شرق البحر المتوسط يعود إلى أواخر العصر البرونزي.

كما يشير بار إلى اكتشاف فخار في الطبقات الأثرية في تيماء، واكتشافات مماثلة في مناطق وادي عربة، لكتابات مصرية من الأسرة التاسعة عشرة وبداية حكم الأسرة العشرين (حوالي ١٣٣٠-١٠٩٠ قبل الميلاد)، تعود إلى أواخر العصر البرونزي وبداية العصر الحديدي.

إذ توحي استنتاجات بيتر بار إلى أن الأواني الفخارية المطلية تعاصر الفخار المعروف في مناطق جنوب شرق البحر المتوسط، والذي يعود تاريخه إلى أواخر العصر البرونزي وبداية العصر الحديدي.

وهذا يؤكد أن الأواني الفخارية المطلية في تيماء قد كانت موجودة في فترة سابقة للملك نبونيدس بأكثر من ستمائة سنة (أبو درك، ١٩٩٨: ٧).

وقد شهدت هذه المنطقة مع بداية القرن الثالث عشر قبل الميلاد تغيرات سياسية، واجتماعية، واقتصادية كبيرة، وانتهى النظام السياسي، الذي عرف في العصور البرونزية باسم دويلات المدن، ليحل محله نظام الدولة الوطنية الموحدة، كما أن التبادل التجاري ضعف بالتدريج، مع بلاد اليونان ليتركز مع الدول المحيطة.

رابعاً- العصر الحديدي (Iron age) (١,٢٠٠ - ٥٨٦) قبل الميلاد:

وقد قسم العصر الحديدي إلى ثلاث مراحل، وهي:

- العصر الحديدي الأول (١,٢٠٠-١,٠٠٠) قبل الميلاد.
- العصر الحديدي الثاني (١,٠٠٠- ٥٨٦) قبل الميلاد، ويقسم إلى ثلاث مراحل فرعية: (أ، ب، ج).
- الفترة البابلية الحديثة والفارسية (٥٨٦-٣٣٢) قبل الميلاد.

ونلاحظ قلة الوثائق المصرية التي تتحدث عن شمال غرب الجزيرة العربية، وبلاد الشام، في العصر الحديدي الأول، وذلك لانحسار السلطة المصرية عنها، ونشوء الممالك والدول المحلية، ووقوعها تحت نفوذ آشور.

وبعد سقوط الإمبراطورية الآشورية، آل الحكم إلى البابليين الجدد (الكلدانيين) في عام (٥٨٢) قبل الميلاد تقريباً، وفي حوالي عام (٥٣٩) قبل الميلاد، سيطر الفرس على مقاليد الحكم في بلاد الشام.

أما شمال غرب الجزيرة العربية ومنطقة تبوك فقد كان يسكنها الثموديون منذ حوالي (٦٠٠) قبل الميلاد (أبو طالب، ١٩٧٨: ٥١؛ المحيسن، ٢٠٠٨: ١٩).

ومن أهم المواقع التي تعود إلى العصر الحديدي في تبوك وشمال غرب الجزيرة العربية موقع تيماء (أبو درك، ١٩٩٨: ٧)، ومن المواقع الأخرى موقع مدين، والديسة.

خامساً- العصر الهلنستي (٣٣٢- ٦٣ قبل الميلاد).

سادساً- العصر النبطي (ما قبل ٣١٢ قبل الميلاد - ١٠٦ ميلادية).

سابعاً- العصر الروماني (٦٣ قبل الميلاد - ٣٢٤ ميلادية).

ثامناً- العصر البيزنطي (٣٢٤ - ٦٣٦ ميلادية).

من المؤكد أن الأنباط العرب الذين كانوا عبارة عن عدة قبائل عربية، قد وصلوا في القرن السادس قبل الميلاد إلى شمال الجزيرة العربية.

وتم ذكرهم في الحوليات الآشورية وفي العهد القديم باسم نبايوت (Nabaioth) بكر إسماعيل عليه السلام وليس هناك قاعدة تربط اسم نبايوت المذكور في العهد القديم مع الاسم نفسه في الوثائق الآشورية (Bowersock، ١٩٧١:١٤).

توسعت المملكة النبطية وامتدت حدودها إلى أن وصلت مدائن صالح (الحجر)، في شمال غرب الجزيرة العربية، وإلى دمشق شمالاً.

وقد ازدهرت هذه المملكة في القرن الرابع قبل الميلاد إلى القرن الثاني الميلادي (المحيسن، ١٩٩٦: ١٦)، وقد أنشئوا مراكز تجارية مهمة في سورية، فكانت بصرى عاصمة الأنباط في عهد رب إيل الثاني.

وبهذا الانتقال بدأت بوادر انتهاء الحضارة النبطية والذي جاء في ١٠٦م، وضمها إلى الإمبراطورية الرومانية وسميت بذلك (الولاية العربية) (Cantineau، ١٩٣٠- ١٩٣٢:٣).



الآثار في منطقة تبوك:

تقسم الآثار في منطقة تبوك إلى أربعة أنواع على النحو التالي:

أولاً: المواقع الأثرية التي تعود للعصور الحجرية

انتشرت بالقرب من مصادر المياه، وعلى جوانب الأودية، مثال على ذلك وادي ضم، ووادي الأخضر، ووادي البقار، وتلاع العصافير وغيرها، وهذه المناطق بحاجة إلى إجراء المزيد من عمليات المسوحات الأثرية والتنقيبات الأثرية (أنجراهام، مايكل وآخرون، ١٩٨١: ٥٣-٦٠).

ثانياً: المواقع الأثرية التي تعود للعصور الكلاسيكية

كان أبرزها واغلبها يعود للآثار الثمودية واللحيانية والنبطية، وقد انتشرت هذه المواقع في أرجاء متعددة من منطقة تبوك، وقد بنيت المباني المتواجدة في السهول، من الطوب والطين، أما في المناطق الجبلية، فقد بنيت المباني وأبراج المراقبة، والمقابر، من الحجارة المشذبة، ومنها الكثير المنتشر حول مدينة تبوك وخاصة في سفوح الجبال (الأنصاري، ٢٠٠٢: ٣٤ - ٣٦).

ثالثاً: النقوش والكتابات والمخربشات والرسوم

الوسوم منتشرة تقريبا في كل مكان في مناطق تبوك، ويمكن من خلال هذه النقوش، تتبع التطور الذي طراء على الكتابة، والخط، وتطور الخط العربي من المعيني (المسند الجنوبي)، مرورا بالثمودي، واللحياني، والآرامي، والنبطي، إلى أن تطور إلى الخط العربي.

وهنالك الآلاف من الرسومات، التي تمثل الحياة في منطقة تبوك، وفي الجزيرة العربية، ومشاهد الصيد المختلفة، وأشكال ماعز الصيد والوعول، والإبل، والنعام، وأنواع الأسلحة، والمصائد، وهناك رسومات تمثل أشكالاً للآلهة قبل الإسلام، وبعضها يمثل أشكالاً بشرية، وسنأتي عليها بالتفصيل لاحقاً، بالإضافة إلى أنواع وأشكال الوشوم، التي كانت تتخذها القبائل العربية القديمة، لتمييز مواشيها عن مواشي غيرها من القبائل. وهنالك أكثر من (٤٢٠) موقعاً للرسوم والكتابات في تبوك (الذييب، ١٩٩٩: ١٢٣ - ١٢٦).

رابعاً: المواقع الأثرية التي تعود للعصور الإسلامية

من الطبيعي أن تزخر منطقة تبوك بهذه المواقع الأثرية الإسلامية، وخاصة القرى، والقلاع، والقصور الإسلامية، بسبب وقوعها على طريق الفتح الإسلامي، والطريق التجاري، ومن ثم وقوعها على طرق الحج الشامي وطريق الحج المصري. وتحتوي موسوعة تبوك حيزاً مخصصاً للآثار والتاريخ الإسلامي.

مواقع عصور ما قبل التاريخ والعصور القديمة في منطقة تبوك:

هضبة جبل قراقر:

وهي هضبة رائعة مكونة من الصخور الرملية، تقطعها أودية عميقة، وتصعد فجأة من السهول الساحلية الرملية، ويحدها شرقاً مجار بركانية، ويعني وجود الماء الدائم هنا أنها تتفجر بالحياة. ترتفع هذه المنطقة (٤٥٠-١٧٥٠) متراً عن سطح البحر، وتقع على مسافة (٨٠) كيلو متراً، جنوب مدينة تبوك عاصمة المنطقة، وهي منطقة محمية تحتوي على بعض من أجمل المواقع في المملكة العربية السعودية. وستجد هنا شبكة من خوانق الأودية الحمراء والصفراء الرائعة من الصخور الرملية، أسفل حرة الرحا المتشكل من الحمم، وهو من المواقع الهامة في هضبة حسمى (العطوي، ١٩٩٣: ١٤).

وتحتوي خوانق الأودية الرئيسية جداول مائية دائمة، وأحواضاً مائية ذات أهمية للمنطقة، إذ يبلغ معدل الأمطار أقل من (٥٠) ملم في السنة، وتنتشر شجيرات الدفلي الزاهية ألوانها في فصل الربيع، وتحتوي الأودية العميقة على عدة عيون وجداول للماء العذب الدائم، إذ توجد أنواع عديدة متفرقة من الأشجار والحيوانات، التي حمتها طبيعة المنطقة الوعرة، ومن ضمنها عدة مئات من الوعول والماعز البري، ويعتقد أن هذا أكبر تجمع لها في الجزيرة العربية، وتعيش عموماً فوق الهضبة، ولكنها قد تهبط في الأودية وخوانقها بالليل، لرعي الحشائش الخضراء.

وقد شوهدت هنا الأوبار والأرانب، وغيرها من الحيوانات اللاحمة، بما في ذلك الذئب العربي، كما شوهد الفهد العربي في المنطقة، ولكن لم يتم تأكيد ذلك مؤخراً. ويحتوي وادي الجزل على الأسماك في المياه الحلوة، وهذا نادر في مياه الأودية. وتضم أيضاً المواقع الأثرية منها بقايا معبد روافه الذي يحتوي على كتابات ونقوش (موزيل، ١٩٥٢: ١٤٠).

وتوجد مزارع صغيرة في خوانق الأودية، وفي الأماكن الأقل وعورة، منها أماكن صغيرة لرعي الجمال، والأغنام، والماعز، وتقع قرية الديسة في ملتقى ثلاثة أودية رئيسية.

وتتوزع الآثار القديمة في مناطق متعددة من هضبة جبل قراقر، والعديد من هذه الآثار يعود للعصور الحجرية القديمة، كما تواجد النقوش والكتابات والرسومات الصخرية في مناطق متعددة من الهضبة ((Doughty، ١٩٢٤: ٤٥ ٥٤.



صورة لأحد الأودية الجميلة في منطقة الديسة



جبل اللوز:

يقع في منطقة حسمى، في الجهة الغربية لمدينة تبوك، ويعدّ من أشهر جبال منطقة تبوك، وأعلاها ويبلغ ارتفاعه (٢٧٨٥) متراً (الأنصاري، ٢٠٠٢: ١٥)، ويقال إن جبال حسمى تصل إلى كبد السماء، وإنها مليئة بالنباتات (الحموي، ١٩٥٧: ٢٥٨). ومن قمم الجبال المهمة الأخرى جبل دفدف، وجبل دباغ، وجبل الشاطئ، وبعض هذه القمم يتعذر رؤيتها أو الوصول إليها، وقد ذكر النابغة أن القتام ملازم للجبال في حسمى، إذ يقول:

فأصبح عاقلا بجبال حسمى وقال التُرب محتزم القتام

وقد سُمّي جبل اللوز بهذا الاسم، بسبب وجود أشجار اللوز فيها. ولجبل اللوز تكوينات صخرية مميزة، لها امتدادات لجبال السروات التي تقع غرب تبوك، حتى تتصل بجبال وادي رم في الأردن. وفي الشتاء يغطي الثلج سفوحها لفترة من الزمن (Philby :٢١٣، ١٩٥٧).

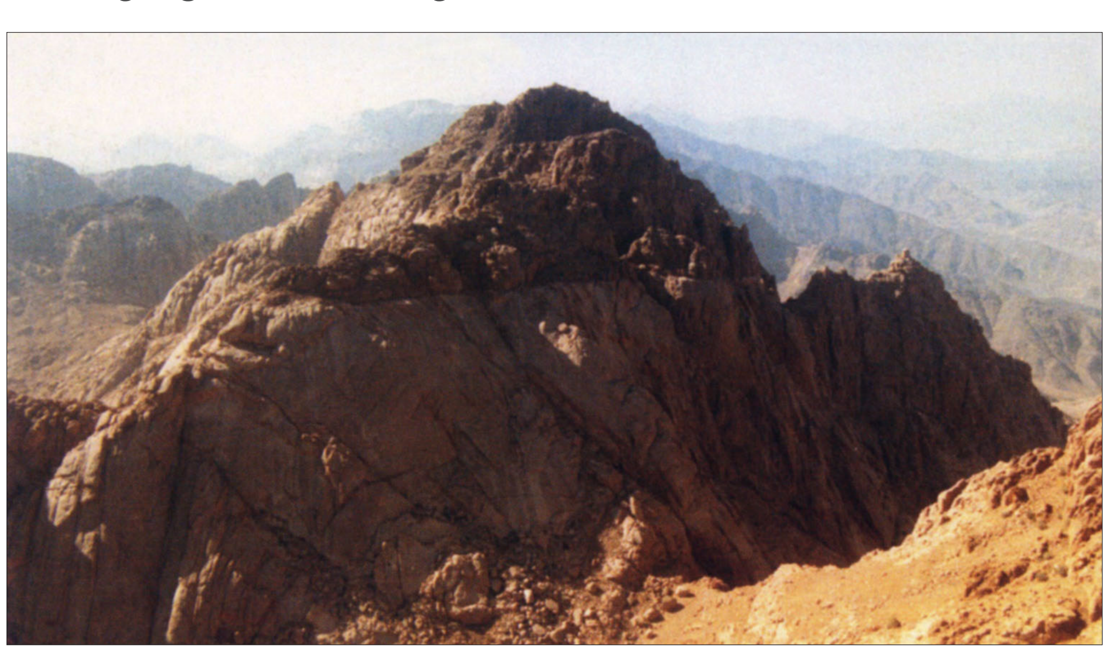
وتحتوي منطقة الجبال في حسمى على كميات عالية من المعادن، بسبب النشاطات البركانية التي تعود إلى عصور قديمة، كما أثرت هذه الأحوال بالإضافة إلى العوامل الطبيعية، أن جعلت تلك الجبال تتكون من أشكال هندسية كالمخروطية، والمدببة، والمربعة (الأنصاري، ٢٠٠٢: ١٥).

وتتوافر داخل الأودية في المنطقة كميات من المياه التي تصب في نهاية المطاف في البحر الأحمر (سيف، ١٩٩٦: ٣١).

وفي الجبل عين ماء أهّلته للسكن منذ عصور قديمة، وفيه آثار تعود إلى فترة ما قبل الإسلام، وتوجد في منطقة جبل اللوز رسومات أدامية، ومناظر للصيد، ورسومات للوعول، والأبقار الوحشية، وللجمال، بالإضافة إلى الكتابات والنقوش. ومن أهم المواقع الأثرية التي تقع في منطقة جبل اللوز مايلي:

مصيون (الجش):

يقع إلى الغرب من تبوك، على بعد حوالي ١٩٠ كيلو متراً منها، ويقع على بعد حوالي ١٦ كيلو متراً من موقع (أبا العجل)، يعود تاريخ الموقع إلى الفترة



صورة جوية مأخوذة لقمة جبل اللوز في تبوك (الأنصاري، ٢٠٠٢: ١٤٥)

الانتقالية بين العصر الحجري القديم الأعلى وأوائل العصـر الحجري الحديث (٢٠ ألـف ولغاية ٥ آلاف عام قبل الميلاد) (الأنصاري، ٢٠٠٢: ٧٨).

تتشـابه الأدوات الصـوانية في موقع مصـيون مـع الأدوات في شـمال غـرب إفريقيـا التي تسـمى الأدوات القزميـة التـي تنتمـي إلى الحقبـة الزمنية سالفة الذكر (Texier، ١٩٧٤ ; ٢٦-٣٦)، وتم العثور علـى المناقيش، والمدببات، والمكاشـط الصـوانية (الأنصاري، ٢٠٠٢: ٧٨).

ويبـدو أن الأدوات الصـوانية، التـي تم العثـور عليها في موقع مصـيون، أصـغر حجمـاً من الأدوات التـي عثر عليها في موقع تثليث وفي سـدوس في تبوك وشـمال غرب الجزيـرة العربية (زارينسـ، ١٩٨٠: ١٩).

كما ندر في موقع مصيون وجود رؤوس السهام، وأدوات الجرشـ، والطحـن، والأدوات العظميـة، والفخار، التي تميز فترة العصـر الحجري الحديث (الأنصاري، ٢٠٠٢: ٨٠).

شعيب النخلة:

يبعـد الموقع حـوالي ٤٢ كيلومـتراً إلى الجنوب الغربي مـن مدينة البدع، ويعد موقع شـعيب النخلة واحداً من المواقع الأثريـة القديمة في مناطق تبوك، ويرجـع تاريخـه إلى المرحلـة المتأخـرة مـن الفترة (الثقافـة) النطوفيـة (١٠,٠٠٠-٨,٥٠٠) قبـل الميـلاد، واسـتمر الاسـتيطان في هـذا الموقع خلال العصـر الحجري الحديث (Neolithic) (٨,٥٠٠-٣,٧٥٠) قبـل الميـلاد، وتنتشـر في الموقـع الأدوات الحجريـة الصـوانية المتنوعـة كرؤوس السـهام، والمكاشـط، والمثاقب، والشـفرات، والسـكاكين، كما عثر على الكسر الفخارية النبطية، وتوجد عند أسفل الجبل أحد الدوائر الحجرية التي اسـتعملت كمكمن لصيد الحيوانات.

وهنالك مجموعة من المواقع الأثرية التي يرجع تاريخها إلى العصر الحجري الحديث (Neolithic) (٨,٥٠٠-٣,٧٥٠) قبل الميلاد، تقع في منطقة جبل اللوز من أهمها ما يلي:

مصير الخراج:

يقع على بعـد حوالي ١٥ كيلومـتراً، إلى الغرب مـن طريق البدع - ضـبا، وتم العثـور في هذا الموقع، الذي تبلغ مسـاحته أكثر من كيلو ونصف متر مربع، علـى أدوات حجرية كالمكاشـط، والشـظايا، ورؤس السـهام، والشـفرات ويعود تاريخ هـذه الفترات إلى العصر الحجري الحديث.

أبا البيبان:

يقع إلى الجهة الشـرقية مـن جبل اللوز، ويبعد عـن موقع (أبـا العجل) حـوالي ٣٠ كيلومـتراً، وقد سمي بـ(أبا البيبان) لكثرة النقوش والرسومات التي رسـمت داخل إطارات بشـكل غائر علـى الواجهات الصـخرية الجنوبية للموقع، الذي يتكون من مضيق تحيطه الجبال العالية، وتمثل هذه الرسومات أشكالاً بشـرية وحيوانيـة، كالأبقـار الوحشـية، والوعـول، بالإضافة إلى الكتابات العربية الجنوبية.



صورة لرسومات تمثل أشكالاً آدمية، مرسومة على الصخور في موقع (أبا البيبان) في جبل اللوز (الأنصاري، ٢٠٠٢: ١٢٣)



أم سيسبان:

موقع أثري يقع بالقرب من موقع (أبا البيبان)، وتوجد على واجهاته الصخرية الرسومات للوعول، والأبقار، والصور الآدمية.

القصيبة:

موقع أثري يبعد حوالي ١٠ كيلومترات عن موقع (أبا العجل)، وتحتوي القصيبة على الأبنية كالغرف، والجدران، وبقايا الأبراج، والأسوار، وتكثر فيها الأدوات الحجرية الصوانية المصنعة، والرسومات الصخرية المختلفة.

جبل حيفا:

يقع جبل حيفا إلى الجنوب الغربي من آثار موقع (أبا العجل) في جبل اللوز، على بعد حوالي ١١كيلومتراً، ويمكن مشاهدة الجدران الحجرية فوق سطح الأرض، التي تمثل مباني مستطيلة، وتوجد مجموعة من الآبار في الموقع، وقد سكنت المنطقة زمن الثموديين، إذ تنتشر المصائد الحجرية، لصيد الحيوانات والإيقاع بها داخل هذه المصائد، التي بنيت على شكل دوائر حجرية، فوق سفوح الجبال، وتنتشر أيضاً المقابر الثمودية، وذلك على شكل رجوم، كما تنتشر أيضاً النقوش والكتابات الثمودية.

عريق اليسري:

يبعد موقع عريق اليسري على بعد حوالي ٢ كيلومتر إلى الشمال الغربي من وادي الأبيض، وهو أحد الجبال التابعة لجبل اللوز، وتوجد على سطح هذا الموقع الأدوات الحجرية الصوانية، كالشفرات، والمكاشط، والمثاقب الكبيرة والصغيرة (الأنصاري، ٢٠٠٢: ٣١ – ٣٣).

النابع:

يقع في منطقة حسمى غرب تبوك، ويبعد عن تبوك حوالي (٢٠٠) كيلومترا، وهو قريب من جبل اللوز، التي تعدّ سلسلة من أعلى السلاسل الجبلية في منطقة حسمى، وتنتشر في المنطقة الرسوم والمخربشات الصخرية، التي يرجع تاريخها إلى عصور ما قبل التاريخ، بالإضافة إلى وجود النقوش الثمودية، والنبطية، والكتابات الإسلامية، وقد ازدهرت المنطقة تجارياً، بسبب موقعها الجغرافي المتميز، على الطريق التجاري، واشتراكها في النمو الحضاري خلال الفترة النبطية، التي ازدهرت خلال أربعة قرون، (من القرن الثاني قبل الميلاد وحتى القرن الثاني بعد الميلاد).

العيينة:

تقع العينية إلى الشمال الغربي من تبوك، وتقع على الطريق الموصل إلى قرية قرب العينية، وتقع المنطقة فوق تل صغير يبلغ ارتفاعه حوالي (١٠٠) متر. وتعد العينية من أقدم المواقع الأثرية في تبوك، ومن أهم العصور القديمة في العينية، فترة العصر الحجري الحديث، وأول من اكتشف هذا الموقع بعثة أثرية سعودية. وكشفت البعثة الأثرية عن وجود مبان متهدمة، بسبب الهزات الأرضية التي ضربت المنطقة.

قرية:

تقع منطقة قرية إلى الشمال الغربي من تبوك، وتبعد عنها حوالي ٩٠كيلومترا، زارها المستشرق الألماني موثبز ((Mothbuz، وتحدث عن الآثار المختلفة التي تعج بها المنطقة. وجاء بعده المستشرق جون فلبي (Philby)، وتحدث عن قمة الجبل في موقع قرية، وعن آثار المباني، والمعابد، والقصور، وتحدث عن وجود كسر الفخار بكثرة في المنطقة، وقد تميز هذا الفخار بألوانه الجميلة، كما تحدث عن المياه في الموقع، وعن السهول والمزارع الممتدة في الجهتين الشرقية والغربية للموقع (فلبي، ١٩٧٤: ٨٣). وقد كشفت بعثة أثرية سعودية عن جدران ومبان أثرية، وعن معبد في هذا الموقع، وكشفت عن وجود نظام مائي، وعن وجود أفران للفخار، كما عثرت البعثة على أدوات مصنوعة من الصوان، وتحدثت البعثة عن وجود مجموعة من الكهوف الأثرية، وقد أعادت البعثة الأثرية تاريخ الأدوات الحجرية الصوانية إلى العصر الحجري الحديث (زارينس، يوريس وآخرون، ١٩٨١: ٩ ١٥).

مواقع العصور التاريخية وعصور ما قبل الإسلام في منطقة تبوك:

أبا العجل:

يعد موقع (أبا العجل) من المناطق الأثرية الهامة، الذي يقع إلى الجهة الشرقية من سفح جبل اللوز، إذ توجد مبان على سطح الجبل، كما توجد الصخور الرخامية، ومحاجر الرخام (المقالع الحجرية).

وهنالك طريق مرصوف بالحجارة، كانت تنقل فوقه الكتل الحجرية التي تقص من المحاجر، وكانت بعض هذه الحجارة تصنع وتشذب داخل المحجر، ومنها قطع الأعمدة الرخامية، ومن ثم تنقل فوق الطريق المرصوف إلى أماكن البناء القريبة من جبل اللوز أو البعيدة، وهنالك العديد من بقايا الأعمدة الرخامية، وقد تم العثور على محجرين للرخام في المنطقة.

كذلك توجد أنصاف الدوائر الحجرية والدوائر الحجرية الكبيرة التي كانت تستعمل كزرائب ومصائد للحيوانات. وقد قامت بعثة أثرية سعودية بالتنقيب في هذا الموقع برئاسة عبدالله بن سعيد أبو رأس، إذ تم الكشف عن مبان أثرية هامة، منها مبنى على شكل حرف (L)، يعود تاريخه إلى الفترة النبطية، ويتكون المبنى من أربع غرف أمامها ساحة مفتوحة.

وقد عثرت البعثة الأثرية، على كميات من كسر الفخار، تمثل أجزاء من الأطباق، وجرار الطبخ، والأباريق، ويعود تاريخ هذه الأواني الفخارية إلى الفترة النبطية حوالي القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الثاني الميلادي (الأنصاري، ٢٠٠٢: ٦٨-٧٤).

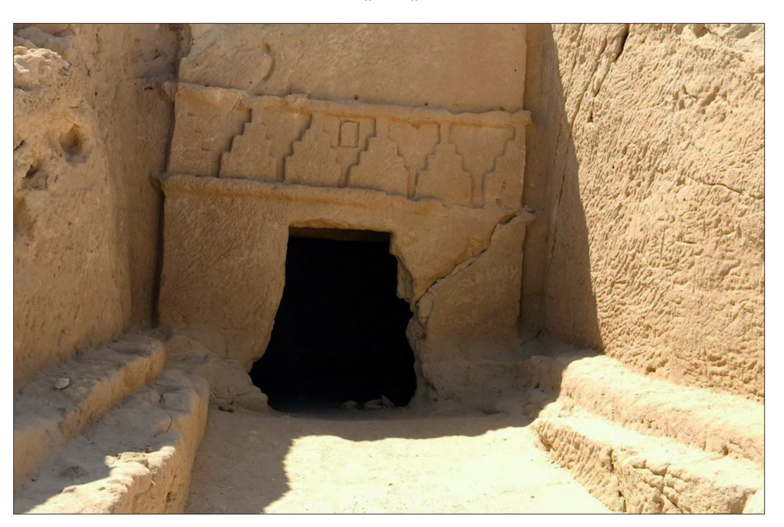

صورة لأحد المحاجر الرخامية في جبل اللوز قرب موقع (أبا العجل)، وتظهر في الصورة (قطع) من الأعمدة الرخامية (الأنصاري، ٢٠٠٢: ١٣١)


صورة مأخوذة للمبنى الذي تم الكشف عنه في موقع (أبا العجل) (الأنصاري، ٢٠٠٢: ١٣٥)

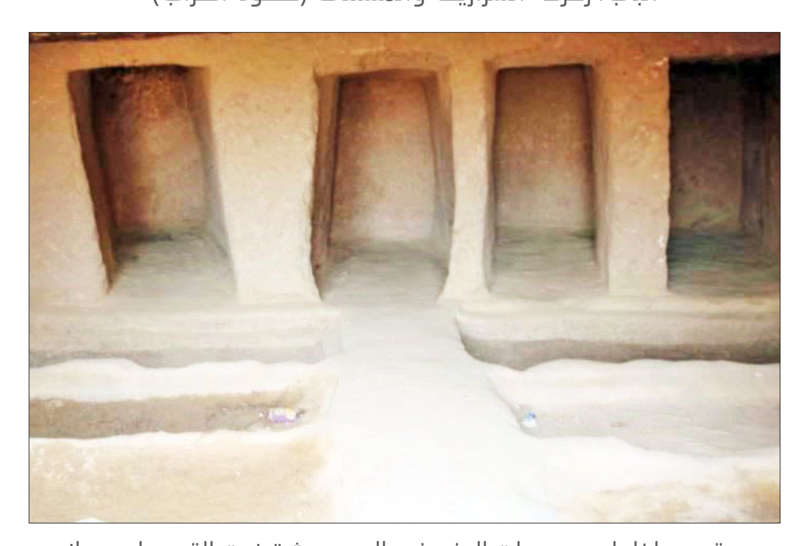




صورة لواجهات المدافن النبطية (مغاير شعيب)، على جانب وادي عفال الغربي في البدع



صورة لأحد المدافن النبطية في البدع، التي تزين واجهتها الخارجية فوق الباب، زخرفة الشراريف والمسننات (خطوة الغراب)



صورة من داخل إحدى حجرات الدفن في البدع، حيث توزعت القبور على جوانب المدفن، وفي داخل أرضية المدفن

البدع

تقع البدع على جانبي وادي عفال، وتبعد عن تبوك (٢٢٥) كيلو متراً، وتتألف المنطقة في غالبيتها من سلسلة جبلية، تتكون من الصخور البركانية والجرانيتية والجيرية. وأهم الجبال في منطقة البدع جبال مدين، وأهم الأودية فيها وادي عفال. وقد اشتهرت مدينة البدع باسم مدينة مدين، واسمها مأخوذ من إبداع ابن مدين بن إبراهيم عليه السلام. كما اشتهرت بوقوعها على الطريق التجاري القادم من البتراء عاصمة الأنباط، باتجاه مدائن صالح (الحجر)، وباتجاه الميناء النبطي الشهير، الذي يقع على البحر الأحمر، والمسمى لوكي كومي (عينونة).

وتقع البدع على درب الحاج المصري، على مقربه من الساحل الشرقي للبحر الأحمر، وقد أشار عدد كبير من الرحالة المسلمين في كتاباتهم إلى منطقة البدع، ومنهم اليعقوبي، وابن حوقل، والمقدسي، والإدريسي، والحموي، والبلوي، والعياشي، وقد ذكروا مدينة مدين، وكيف أنها كانت مدينة عظيمة، توجد فيها عيون الماء، وتكثر فيها البساتين، كما ذكروا أن مدين كانت مقراً لشعيب عليه السلام، ونزل بها النبي موسى عليه السلام، وقد ذكر القرآن الكريم مدين إذ قال الله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾.

وقد زار العديد من الرحالة الغربيين منطقة البدع، ومنهم بيرتون، وموزيل، وفلبي، وتحدثوا عن مدينة مدين، وعن مغائر شعيب، وعن مناجم الذهب، وعن أشجار النخيل. وحديثا كتب حمد الجاسر عن قاع بني مر، ووادي عفال (الجاسر، ١٩٨١: ٤٦). وذكر منطقة مدين أيضاً جواد علي (علي، ١٩٨٠: ١٦٧)، وسجل حمود بن ضاوي القثامي مشاهداته للمنطقة في كتابه شمال الحجاز (القثامي، ١٩٨٥:

٩٢)، كما قامت الإدارة العامة للآثار والمتاحف في المملكة العربية السعودية بعمليات التنقيب عن الآثار والمسح الأثري للمنطقة.

وتقع بالقرب من آثار مدين (مغاير شعيب)، وتوجد فيها آثار لحيانية ونبطية، وخاصة الكهوف، والمنازل المنحوتة، والمقابر، ممّا يدل على عظمة أصحابها، فعناصرها العمرانية وبئر الماء فيها، والواجهات النبطية المنحوتة داخل الصخور، تعد من أقدم المعالم الأثرية وأهمها، ممّا يدل على أن البدع لها ماضٍ عريق تعاقبت عليه عدة حضارات.

ومن القبائل القديمة التي سكنت مدين قبيلة زمران وقبيلة ويشباف وقبيلة عفر التي ربما جاء اسمها نسبة إلى وادي العفار أو العفال الذي يمر من مدينة مدين (Musil، ١٩٢٦: ٢٨٢).

أما أهم آثار البدع فهي الآثار التي تعود إلى فترة ما قبل الإسلام، خاصة الفترة النبطية، وتتوزع هذه الآثار على جانبي وادي عفال، ومنها مايلي:

مغاير شعيب:

وهي عبارة عن مدافن نبطية تعد من أبرز المواقع في البدع، والتي اهتم بها الرحالة وخاصة الغربيون منهم، وتتوزع هذه المدافن على شكل واجهات منحوتة فوق الصخور الرملية، في الجهة الغربية من وادي عفال، وهي تشبه في تخطيطها ونحتها، واجهات المقابر في البتراء وفي مدائن صالح، وقد توزعت هذه المقابر على شكل وحدات منفصلة، بعضها يتكون من سبعة مدافن، على شكل حجرات (مغر) للدفن، وبعضها مكون من خمسة مدافن، والبعض الآخر منها مكون من ثلاثة مدافن، وهناك واجهة حجرية ضخمة لأحد المدافن، تضم في داخلها مجموعة من القبور.



صورة أخرى من داخل إحدى حجرات الدفن في البدع، حيث توزعت القبور على جوانب المدفن



صورة للمدافن النبطية في البدع (الأنصاري، ٢٠٠٢: ١١١)





صورة للمدينة النبطية (المالحة) في البدع (الأنصاري، ٢٠٠٢: ١١١)

المالحة :

وتمثل المالحة آثار لمدينة نبطية تقع على الجانب الغربي لوادي عفال في البدع، وتبلغ مساحتها حوالي كيلو ونصف متر مربع، وقد بنيت أساسات وجدران المدينة من الحجارة المشذبة. وتنتشر فيها كسر الفخار النبطي بكثرة، الذي يشبه في رقته قشر البيضة، وخاصة الفخار المدهون، الذي يعود في تاريخه إلى القرن الثاني والأول قبل الميلاد، وقد زار هذه المنطقة البريطاني بيتر بار المهتم بالدراسات النبطية (Parr، ١٩٧٢: ٣٣).

الرديدة :

تقع الرديدة إلى الشرق من وادي عفال، على بعد حوالي ٦ كيلومترات من مدينة البدع، وتعد إحدى المواقع الأثرية التي تعود للفترة الثمودية، وأهم ما يميز هذا الموقع آثار المصائد الحجرية، التي تبدو على شكل دوائر حجرية لصيد الحيوانات، وتتكون الحجارة في الموقع من الحجارة البازلتية السوداء والحجارة الحمراء، كما تتناثر في الموقع كسر الفخار المديني والنبطي (الأنصاري، ٢٠٠٢: ٣٦).

بئر السعيدني :

نسبت التسمية إلى صاحب هذا البئر من أهل البدع، ولكن البئر عرف قديماً باسم بئر مدين، أو دعي أيضاً بمغارة البدع.

ويقع البئر مقابل القرية النبطية، على الجهة الشرقية لوادي عفال، والبئر محفور في الصخر، له درج منحوت يؤدي إلى داخل البئر.

ومن المؤكد أن الأنباط قد قاموا بنحت هذا البئر، وهو يشبه إلى حد بعيد الآبار النبطية الأخرى، كالبئر الموجود في الحجر، والبئر النبطي في مدينة سكاكا مركز محافظة الجوف، وبعض الآبار في مدينة البتراء.

وقد سمي بئر السعيدني ببئر موسى، وقد اعتقد بعض الرحالة أن هذا البئر قد استقى منه النبي موسى، وسقى لبنات شعيب. وقد تم ترميمه عدة مرات خلال الفترات الإسلامية، لاستعماله للشرب من قبل الحجيج، وقد هجر البئر منذ الفترة العثمانية، إذ غلبت الملوحة على مياهه (الأنصاري، ٢٠٠٢: ٣٧).

مقنا:

تبعد منطقة مقنا حوالي ٣٥ كيلومتراً عن البدع، والموقع يطل على البحر الأحمر (خليج العقبة) (القثامي، ١٩٨٥: ٣٦٥)، وتوجد آثار قد تعود لفترة مدين والفترة النبطية، وقد عثر على كسر زجاجية كانت تمثل أواني مختلفة.

وعثر في موقع مقتا خلال المسح الأثري الذي قامت به وكالة الآثار في المملكة العربية السعودية للمنطقة الشمالية الغربية في عام ١٩٨٠، على قطع الفخار النبطي وقطع من الفخار الروماني المعروف بالسيجلاتا.

طيب اسم:

يبعد حوالي ٢٥ كيلومتراً إلى الجهة الشرقية من موقع مقنا، بالقرب من ساحل البحر الأحمر، ويتم الدخول إلى الموقع عن طريق ممر طبيعي بين الصخور يشبه السيق في البتراء.

ويبلغ مساحة الموقع الأثري حوالي نصف كيلومتر مربع، تنتشر داخله الجدران والأساسات الحجرية، كما تتوزع كسر الفخار زهري اللون الذي يشبه فخار مدينة تيماء، وكسر الفخار المتأثرة بالفخار الهلنستي.

ويعود تاريخ الموقع إلى الفترة المدينية (الأنصاري، ٢٠٠٢: ٤٥ – ٤٤).

الخريبة:

تبعد منطقة الخريبة حوالي ٩٥ كيلومتراً عن ضبا، وهي أحد الموانئ القديمة.

وربما تكون الخريبة هي موقع لوكي كومي، أحد أهم الموانئ النبطية على البحر الأحمر.

وتقع الخريبة فوق مجموعة من التلال الأثرية، التي تنتشر فوقها المباني الأثرية وكسر الفخار النبطي، ويقابل الخريبة في البحر جزيرة أم عصيليات، التي تحتوي على آثار نبطية.

وإلى الشمال من الخريبة على بعد حوالي نصف كيلومتر، تقع منطقة بير درويش التي تعود للفترة النبطية.

وتوجد في الموقع الجدران الأثرية وكسر الفخار النبطي الملون (الأنصاري، ٢٠٠٢: ٤٧ – ٤٨).


صورة لبير درويش في الخريبة الذي يعود للفترة النبطية (الأنصاري، ٢٠٠٢: ١١٩)

عينونة:

تبعد منطقة عينونة حوالي ١٠٠ كيلومتراً عن ضبا، وعينونة عبارة عن واد يوجد به نبع ماء، يسقي أشجار النخيل والبساتين في الوادي، الذي ينتهي ويصب في البحر الأحمر بالقرب من موقع الخريبة.

وقد تم ذكر موقع عينونة من قبل اليعقوبي (اليعقوبي، ١٩٩٩: ٣٤١)، كما ذكرت عينونة من قبل ابن حوقل (ابن حوقل، ١٩٨٢: ٥٧)، كما ذكرها أيضاً آخرون من العرب والعجم.

وتوجد في بداية وادي عينونة نظم مائية متطورة، تتمثل في قناة للماء تسمى القبيبة، والقناة مبنية من أنابيب فخارية تمتد فوق جدار حجري فوق الأرض، وكانت القناة تسقي البساتين وأشجار النخيل. وعلى الأغلب أن القناة بنيت زمن الأنباط العرب.

وتشبه قناة القبيبة في وادي عينونة القنوات المائية المبنية من الأنابيب الفخارية، في المناطق النبطية الأخرى وخاصة في مدينة البتراء العاصمة النبطية ١٤٩: ٢٠٠٩ (AL-Muheisen، ١٥٠ –).
وتتوزع في منطقة القبيبة كسر الفخار النبطي الرقيق المدهون (الأنصاري، ٢٠٠٢: ٤٦).

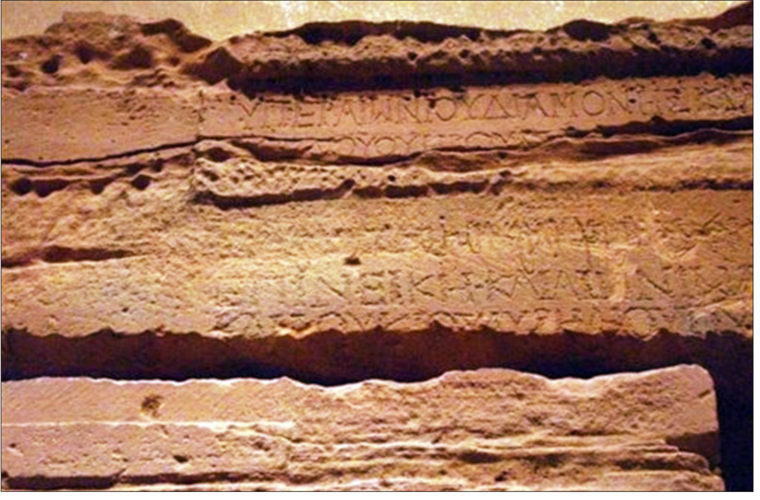


جبل صفـراء الشمالي وصفـراء الجنوبي في عينونة :

وهي عبارة عن مواقع أثرية نبطية هامة، تقع في وادي عينونة وتبعد حوالي ٣ كيلومترات إلى الشـمال من موقع الخريبـة، وتتوزع بعض هذه الآثار في موقع جبل صـفراء الشـمالي، على شـكل مدافن منحوتة في الصـخور الكلسـية، يبلغ عددها ٤٥ مدفناً تشـبه المدافن النبطية في مغاير شعيب، كما تتوزع مجموعة أخـرى من المدافـن النبطيـة المنحوتة في الصـخور الكلسية في موقع جبل صفراء الجنوبي، وتنتشر كسر الفخار المديني والنبطي بكثافة في الموقعين.



صورة لأحد جوانب معبد روافه



النقش المكتوب باليونانية والنبطية في معبد روافة، وقد نقل هذا النقش إلى المتحف الوطني في الرياض

جبل عريق الكفرة

وتوجـد في عينونـة العديـد من المواقـع الأثرية التي تعود للعصـر النبطي، مثـل: موقع (جبل عريق الكفـرة) في وادي عينونـة، ويقع علـى بعد حوالي ٥ كيلومـترات إلى الشـرق من موقـع الخريبة، يحتوي الموقع على الجدران التي تمثل مبان سكنية.

مسيوق

وموقـع (مسـيوق) الـذي يقـع بالقـرب من نبع عينونة، وتوجد داخله العديد من الجدران والأساسات الحجرية، وتنتشر داخله كسر الفخار النبطي الملون.

كمـا توجـد بعضـ المواقـع الأثرية، التـي تعود للفترة المدينية والنبطية، في منطقة (شـرمة)، التي تبعـد حـوالي ٩٠ كيلومتراً عـن مدينة ضـباء، ومن هذه المواقع الأثرية (تلة عين شـرمة)، (جبل أصفر انقيرة)، و(المزيـرع)، و(أم حواويط)، و(سـيل أم سريبيطات) (الأنصاري، ٢٠٠٢: ٤٨ – ٥٠).

روافة:

تقـع منطقـة روافـة إلى الجنـوب الغربـي من مدينـة تبوك، وتبعد عنها حـوالي (١١٥) كيلومتراً، وتتوسط منطقة حسمى.

وأول من زارها المستشرق جون فلبي (Philby) سـنة (١٩١٠) ميلاديـة، الـذي ألـف كتـاب «أرض الأنبيـاء»، وتحدث عن وجود معبـد في هذه المنطقة، وبعضـ الكهوف، وتحدث كذلك عـن وجود الكتابات والنقوش الثمودية والنبطيـة واليونانية على حجارة المعبد، وتحـدث فلبي عن وجود حجر مشـذب طوله متران مغطى بالكتابات اليونانية.

كمـا قام فلبـي بزيارة ثانية إلى روافة في سـنة (١٩٥٠) ميلادية، وألـف كتابه «أرض مدين» (The Land of Median)، ومـن المعـروف أن روافة موقع نبطي وثمودي هام، وأهم ما فيها المعبد.

وقد أتى اسم منطقة روافة من النقش الذي وجد على إحد حجارة المعبد، ويحمل اسم (روباثا)، وقد بني المعبد على شكل مربع من الحجارة المشذبة. ويعود تاريخ المعبد إلى القرن الثاني الميلادي. وتوجد بجانبه مقبرة قديمة، واشتهر هذا المكان بوقوعه على طريق التجارة النبطية Doughty، ١٩٢٤: ٥٤)).

واعتقد أن الأنباط قد ساهموا ببناء هذا المعبد، والسبب في ذلك طريقة وأسلوب البناء النبطي، كما أن تخطيط المعبد، يشابه تخطيط العديد من المعابد النبطية الأخرى.

ومن المؤكد أن معبد روافة قد بني في الفترة الواقعة بتاريخ ١٦٦ ميلادية وبداية عام ١٦٩ ميلادية، إذ بنته قبيلة ثمود، التي كانت تسيطر على حرة العوارض، وحرة الرحا، وحسمى، وتقع منازل ثمود إلى الغرب من تيماء، بالقرب من الطريق التجاري القادم من جنوب غرب الجزيرة العربية، إلى الأردن وسوريا ومصر (موزيل، ١٩١٥: ٣٠).

ومن الملاحظات المهمة على نقوش روافة، هو استخدام الثموديين لبعض مظاهر الحضارة النبطية، التي تتجلى في استخدامهم اللغة النبطية.

فلم يعمد كاتب النقوش إلى استخدام الخط الثمودي، الذي كان شائع الاستخدام في مناطق عديدة من الجزيرة العربية بشكل عام، أو في شمالها الغربي بشكل خاص، باستخدام الكاتب خط ولغة النبطيين، لتوثيق هذه النصوص المهمة، عن الصلح الذي أبرم بين القبائل الثمودية، بمباركة وتأييد من الحاكم الروماني للولاية العربية (الذييب، ٢٠٠٢: ٣ - ١٣).

إن أهم هذه النقوش هو النقش المزدوج، الذي كتب بالنبطية والإغريقية على واجهة المعبد، وهو محاط بإطار مزخرف، وكلا النقشين يحملان المعنى نفسه.

ويمكن قراءة النقش النبطي بالعربية على النحو التالي:

«من أجلال بقاء الأبدي لسادة حكام العالم، الإلهين الكبار: العظيم أغسطس قاهر الأرمينيين، ماركوس أورليوس أنطونيوس ولوشيوس أورليوس فيروس، قام زعماء اتحاد الثموديين بإنشاء هذا المعبد تحت رعاية ودعم أنتيستيوس أدفنتوس، الحاكم المنتدب لأغسطس.... الذي شجعه» (Jaussen، and Savignac، ١٩٠٤-١٩١٤، Musil، ١٩٢٦).

ويشير النقش الموجود في معبد روافة، إلى أن قبيلة ثمود قد بنته تخليداً لذكرى الإمبراطور الروماني ماركوس أورليوس أنطونيوس، والإمبراطور لوسيوس أوريليوس فيروس.

ويؤكد ذلك أيضاً أن قبيلة ثمود كانت تسكن الحدود القريبة من المنطقة، التي تسمى بلاد العرب الصخرية، وقد كانت الإمبراطورية الرومانية تدفع لثمود الأموال من أجل استمالتهم، ولأنها تعدّهم خطرا على الأجزاء الجنوبية من الإمبراطورية (موزيل، ١٩١٥: ٣٠ - ٣١).

وفي زمن مملكة الغساسنة، حكم بعض ملوكهم الأقوياء، مناطق شمال غرب الجزيرة العربية، ووصلوا إلى حائل، والعلا، وخيبر (موزيل، ١٩١٥: ٣١).

وادي العويند:

يقع إلى الغرب من تبوك، على بعد حوالي (٥٠) كيلومتراً، وتوجد على صخوره العديد من الكتابات والنقوش، والرسومات ويمكن التعرف على بعض هذه النقوش والكتابات، التي منها الثمودية والنبطية. وعلى الأغلب فقد كان هذا الوادي معبراً للقوافل التجارية القديمة (Musil :٤٢، ١٩٢٦).

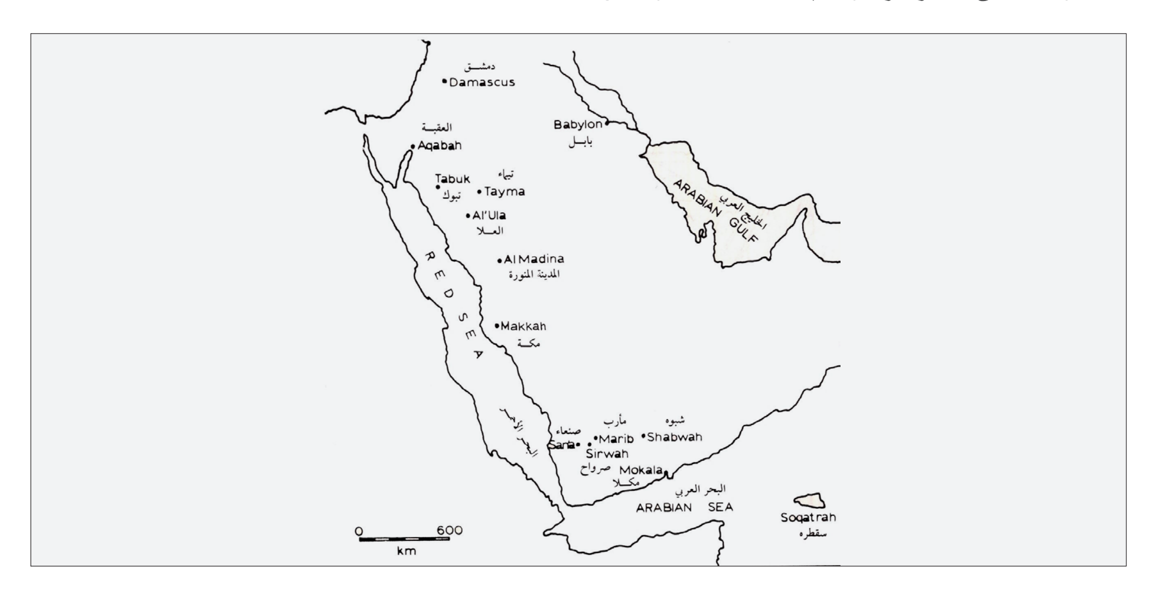


تيماء

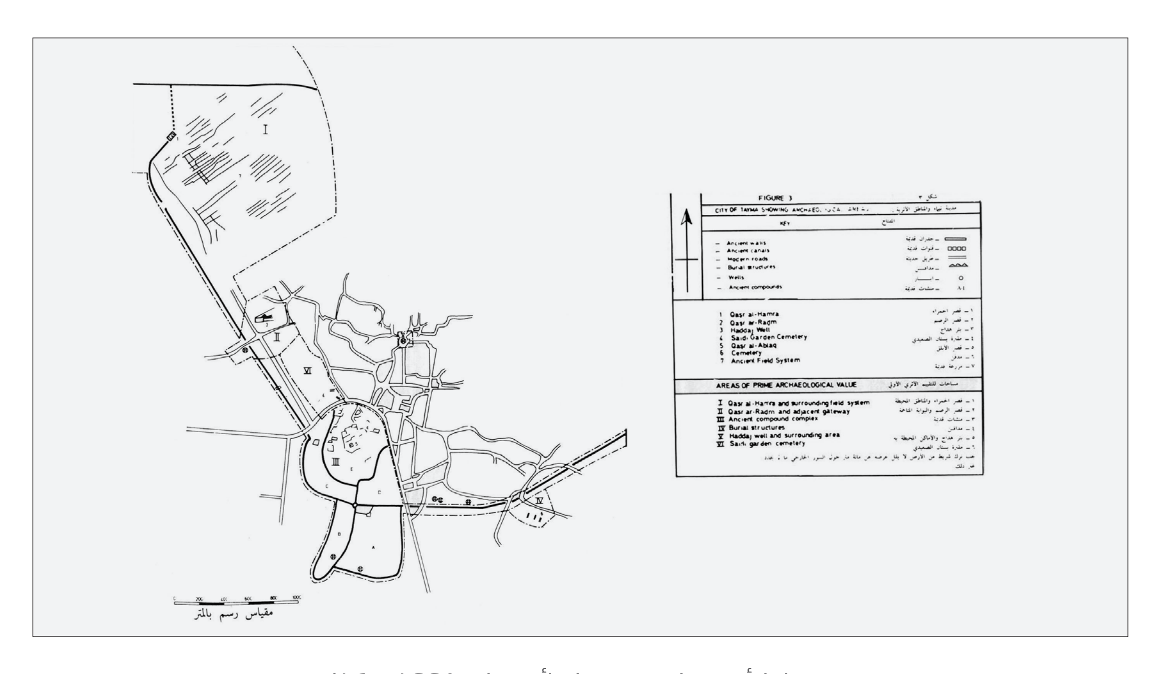
تقع منطقة تيماء إلى الجنوب الشرقي من مدينة تبوك، وتبعد عنها حوالي (٢٦٠) كيلو متراً، وهي إحدى أهم المدن القديمة في شبه الجزيرة العربية، ويعود تاريخها إلى منتصف الألف الأول قبل الميلاد.

وقد سكن الثموديون والأنباط في تيماء، ويطلق عليها تيماء بالمد دون همز، وهي ودادان (العلا) تمثلان حضارة العرب البائدة كالثموديين، وأيضاً تمثلان مركزاً تجارياً مهماً مع الدول العربية في اليمن.

ومن أهم الآثار القديمة في منطقة تيماء، التي تعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد وما بعده الآثار التالية:



خارطة للجزيرة العربية موضحاً عليها موقع مدينة تيماء في شمال غرب الجزيرة (أبو درك، ١٩٩٨: ١٣٩)



مخطط أفقي لمدينة تيماء (أبو درك، ١٩٩٨: ١٤٠)

سور مدينة تيماء القديم:

يمتد طول هذا السور لأكثر من عشرة كيلومترات، وبارتفاع عشرة أمتار لبعض أجزائه، وبسمك حوالي مترين. وقد بني السور من الحجارة الضخمة، على شكل شبه منحرف، وكان هذا السور يحمي مدينة تيماء من الهجمات العسكرية، وكان يحيط بها من جميع الجهات، ماعدا الجهة الشمالية التي كانت عبارة عن منطقة ملحية تعرف باسم السبخة. ويعود بناء هذا السور إلى ما قبل القرن السادس قبل الميلاد.

وقد ذكر بيتر بار أنه من المحتمل أن تكون الأسوار الباقية حالياً قد قام ببنائها الملك البابلي نبونيدس، وذلك في حوالي عام ٥٥٠ قبل الميلاد (أبو درك، ١٩٩٨: ٩).

قصر الحمراء في تيماء:

يعد قصر الحمراء من المعالم الرئيسية في مدينة تيماء، ويقع على تلة صغيرة تطل على السهل المحيط بها (أبو درك، ١٩٩٨: ٨٨)، ويقع القصر إلى الجهة الشمالية من تيماء، ويعد من أهم القصور فيها، ويعود تاريخ بنائه إلى القرن السادس قبل الميلاد. وقد تم الكشف عن معظم أجزائه وإظهارها للعيان، وقد بني القصر من الحجارة، وتم العثور في داخله على معبد، وعلى مجموعة من الحجرات والممرات الداخلية.



سور مدينة تيماء القديم

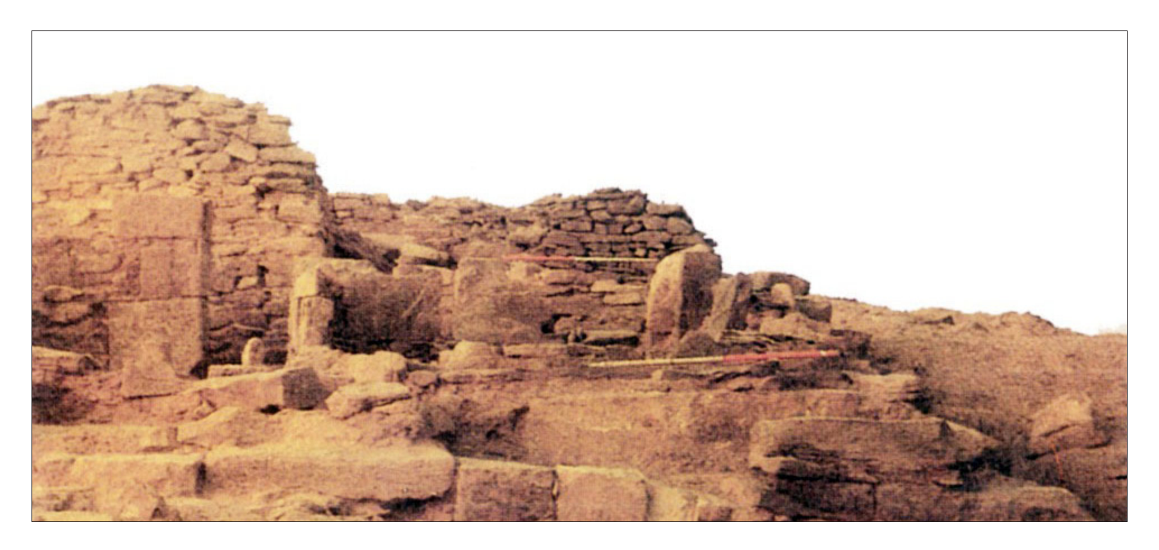


صورة مأخوذة لسور مدينة تيماء القديم باتجاه الشمال وتتوسط السور إحدى البوابات (أبو درك، ١٩٩٨: ٨٨)

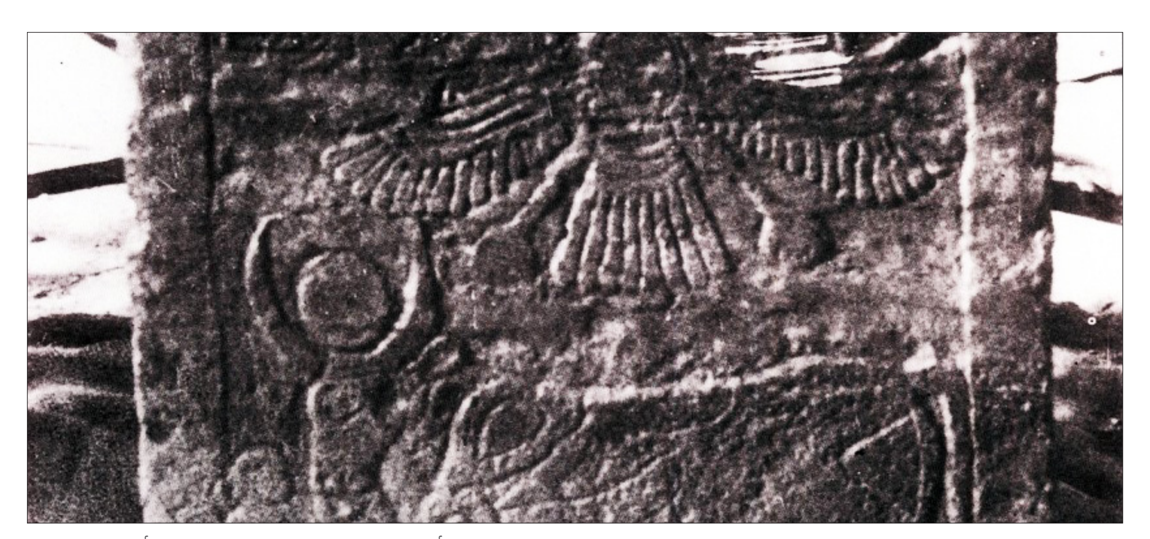


قصر الحمراء بمحافظة تيماء





صورة مأخوذة لإحدى المناطق في قصر الحمراء بمدينة تيماء (أبو درك، ١٩٩٨: ١١٨)



مسلة على شكل حجر مكعب من قصر الحمراء بتيماء منحوت عليها رسومات (أبو درك، ١٩٩٨: ١٣٥). يظهر في أسفل المسلة ثور أمامه أحد الأشخاص، وفي أعلى المسلة توجد بعض الرسومات والرموز الأخرى التي من المرجح أن أصلها آشوري



الجانب الآخر للمسلة منحوت عليها رأس ثور وصورة لشخص إلى الجهة اليسرى من المسلة ورسومات دينية (أبو درك، ١٩٩٨: ١٣٦)

قصر الرضم في تيماء:

يقع القصر إلى الجهة الغربية من تيماء شمال طريق تبوك، ويعود تاريخ بنائه إلى القرن السادس قبل الميلاد، والقصر مربع الشكل، يبلغ سمك جدرانه مترين، وهو مبني من الحجارة الضخمة المشذبة، وقد وضعت العديد من الدعائم المبنية من الحجارة لدعم جدرانه من الخارج، وربما كانت هذه الدعائم الحجرية سبباً في بقاء هذا القصر قائماً إلى يومنا هذا، ويتوسط القصر بئر كبير للمياه.

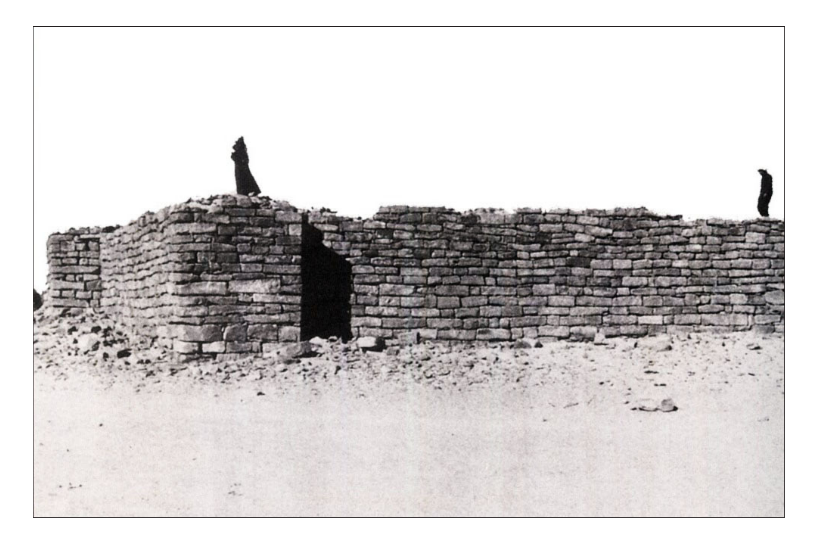
وقد تبين أن القصر قد بني على ثلاث مراحل، وهذا يدل على أن أغراض البناء قد طرأ عليها تغييرات عبر السنين المختلفة (أبو درك، ١٩٩٨: ٩).

قصر الأبلق في تيماء:

توجد بقايا آثار هذا القصر في الجزء الجنوبي الغربي من مدينة تيماء القديمة، وللقصر مجموعة من الأسوار غير المنتظمة في الشكل توجد فوق تلة تعرف اليوم باسم قصر الأبلق (أبو درك، ١٩٩٨: ٨).



قصر الرضم في تيماء



صورة لأحد الجدران الخارجية لقصر الرضم بمدينة تيماء (أبو درك، ١٩٩٨: ٩٩)



صورة لقناة الماء المبنية من الحجارة، والتي تصب مياهها في أحد الآبار(أبو درك، ١٩٩٨:١٠٦)، وهذا أحد نظم الحصاد المائي في قصر الرضم بمدينة تيماء



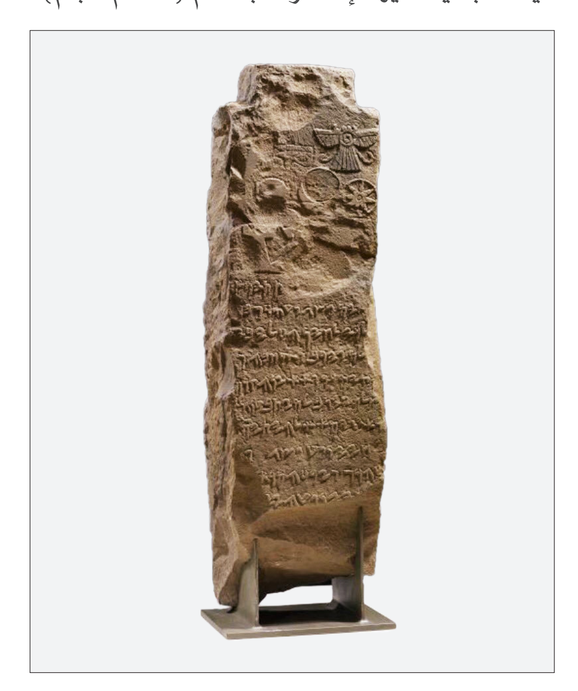
مسلة تيماء:

يعود تاريخ هذه المسلة إلى القرن السادس قبل الميلاد، وقد كانت من أبرز الشواهد الأثرية، المكتوبة على الحجر الرملي، والتي كانت تقع في محيط بئر هداج في مدينة تيماء. وجاءت المسلة على شكل لوح مستطيل مقطوع من الصخور الرملية، وكان الجانب الأعلى للمسلة منحوتاً بشكل برميلي (مقوس)، وكان الرحالة داوتي (Doughty) أول من اكتشف هذه اللوحة الكتابية الهامة، وذلك في سنة (١٨٧٧) ميلادية، وقد تم نقل هذه المسلة في سنة (١٨٨٤) ميلادية إلى متحف اللوفر في باريس.

كما قام مجموعة من العلماء بتحليل ودراسة الكتابات الآرامية المدونة على هذه المسلة، ومنهم عالما الآثار الألمانيان هوبر واتنج، وقد تحدث الباحث حمد الجاسر عن هذه المسلة، إذ لا تزال الكتابات الآرامية التي وجدت على المسلة مدار بحث بين علماء الآثار والنقوش إلى يومنا هذا.

و يرد في النقش المدون على مسلة تيماء قيام ديانة جديدة فيها لإله عرف باسم (صلم هجم)، وذلك على يد رجل دين اسمه (صلم شيزب)، وكان أبوه يدعى بيتوسيري، ويبدو أن اسم صلم أصله بابلي، على حين اسم بيتوسيري يعود إلى أصل مصري، وهي تدل على اتصال وامتزاج بابلي مصري في تيماء، وهناك نص هام يشير إلى تيماء، ورد في مخطوطات البحر الميت عن قصة شعبية نسجت حول نبونيدس ونشرها الفرنسي ميليك، وتذكر القصة أن الملك البابلي نبونيدس قد مكث في تيماء، كما وجد نص نبطي يشير إلى تيماء (أبو درك، ١٩٩٨: ٤).

وقد عثر في تيماء على آثار ونقوش تعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد، وفيها القصور التي سكنت من قبل ملوك بلاد ما بين النهرين، إذ كانت تيماء ودومة الجندل من المناطق التي كان يحب ملوك بلاد ما بين النهرين، أن يقضوا أوقاتهم فيهما لعدة أشهر من السنة. وهنالك العديد من الآثار التي تعود في تاريخها إلى الفترات اللاحقة. وتعد منطقة تيماء متحفاً مفتوحاً للنقوش والكتابات، التي يعود بعضها إلى القرن الثامن قبل الميلاد، ومنها النقوش الآرامية، والثمودية، والنبطية، والعربية الإسلامية.



صورة لمسلة مدينة تيماء المكتوبة بالآرامية



صورة لإحدى المسلات في مدينة تيماء، في أعلى المسلة بعض الرموز الدينية، وفي أسفل الصورة كتابة آرامية (أبو درك، ١٩٩٨: ١٣٤)

المدافن القديمة في تيماء:

وتعرف منطقة المدافن في تيماء باسم الصناعية، بسبب وجودها في منطقة صناعية في الوقت الحاضر، وهي عبارة عن مدافن على شكل غرف، تقع فوق سطح الأرض، وقد تم التنقيب عن الآثار في منطقة المدافن، وعثر على العديد من اللقى والأدوات الأثرية، التي وضعت مع الموتى، ويعود تاريخ هذه المدافن إلى القرن السادس قبل الميلاد.

وعلى بعد حوالي ٢ كيلو متر جنوب مدينة تيماء تمتد عل مسحات واسعة مقابر الركامية، والتي تمتد بطول حوالي ٦ كيلومترات.

وهنالك موقع جبل أبو غنيم، الذي يبعد عن مدينة تيماء حوالي ١٠ كيلومترات إلى الجهة الشرقية من المدينة، وقد عثر على كتابات فوق قمة جبل أبو غنيم، ربما تشير إلى نشاطات دينية تعود إلى القرن السادس قبل الميلاد، وقد ترجم وينت هذه الكتابات في عام ١٩٦٨. وهنالك غيران الحمام، وهي عبارة عن ملاجئ صخرية طبيعية، تبعد حوالي ٢ كيلومتر إلى الشرق من مدينة تيماء، وتمتد على مساحة ٣ كيلومترات، ويوجد على صخور غيران الحمام كتابات ونقوش ورسومات تمثل حيوانات، أشار لها وينت في كتابه «تسجيلات قديمة من شمال غرب الجزيرة» (أبو درك، ١٩٩٨: ٩).

تل الحديقة:

يقع وسط المدينة السكنية الحديثة في تيماء، وقد تم التنقيب في بعض الأماكن في هذه المنطقة، إذ عثر على كميات كبيرة من الفخار، وهذا يدل على وجود مصانع للفخار في المنطقة، وعلى ازدهار صناعة الفخار فيها، ويعود تاريخ تل الحديقة إلى القرن الثاني قبل الميلاد.

بئر هداج في تيماء:

يعدّ هذا البئر العظيم من أكبر وأهم الآبار القديمة في الجزيرة العربية، إذ يبلغ عمقه حوالي (١٤) متراً، ويطلق عليه اسم شيخ الجوية لكبر حجمه، وأطلق عليه اسم الرجل الكريم بسبب غزارة مياهه، كما أطلق عليه البعض اسم هداج تيماء. ويعود تاريخ هذا البئر إلى حوالي (٦٠٠) قبل الميلاد، وهو أحد أكبر الآبار، إذ يبلغ عمقه حوالي (١٣) متراً، وقد ذكر بعض الرحالة أن سبعة وسبعين جملاً كانت ترد إلى هذا البئر في وقت واحد خلال الصيف الحار. ويقع بئر هداج وسط المدينة القديمة، وهنالك العديد من الآبار تقع أيضاً حول المدينة.



صورة لأحد شواهد القبور داخل جدران قصر الرضم بتيماء عليه كتابة آرامية(أبو درك، ١٩٩٨: ١١٨). في أعلى الشاهد ربما تظهر ملامح للآلهة العزى التي عبدها العرب قبل الإسلام



بئر هداج في تيماء



وتحيط بمدينة تيماء أبراج للمراقبة، منها برجان للمراقبة مربعة الشكل، تقعان خارج المدينة أطلق عليهما اسم منظار بني عطية وطويل سعيد، وقد بنيا من الحجارة المشذبة الكبيرة، تشابه الحجارة التي بني منها السور، ولا تتصل هذه الأبراج بالسور ولكنها من المؤكد أنها تعاصره. وهنالك أيضاً مجموعة أخرى من الأبراج المبنية من الطوب، وهي مربعة الشكل تمتد من الغرب إلى الشرق، وربما أنها بنيت لحماية المدخل الشمالي للمدينة، كما يوجد برج بدر بن جوهر الذي يقع وسط مدينة تيماء إلى الجنوب من قصر الأبلق (أبو درك، ١٩٩٨: ٨).

رجوم شوهر:

تقع إلى الجنوب من تبوك، وتبعد عنها حوالي (١٠) كيلومترات، وتقع إلى شمال غرب (طويل النبيه)، وقد سماها جوسن وسافينياك بخربة شوهر (جوسن، وسافينياك، ١٩٩٧: ٧٦) وفي نهاية حرة العويرض شمالاً. ومن المؤكد أن هذه المنطقة قد سكنها الأنباط، وتتكون المنطقة من مبان سكنية مبنية من حجارة ضخمة، ومقابر مبنية من الحجارة أيضاً، ويبدو أن سقوف هذه المقابر كانت على شكل هرمي، وهذا معروف عند الأنباط، وتشبه مقابر موقع خربة الذريح النبطية في منطقة الطفيلة الواقعة جنوب الأردن. أما اسم الرجوم فهو مصطلح معروف يطلق على المقابر الثمودية، وكلمة شوهر ربما لها ارتباط بالحصن الكبير الموجود في اليمن والمسمى بـ: (شهارة الغيش). ومن الممكن أن يكون المعينيون واللحيانيون قد سكنوا هذه المناطق.

رجوم صعصع:

تقع هذه الآثار إلى الجنوب من تيماء، وتمتد المنطقة على مساحات واسعة جداً، تبلغ عشرات الكيلو مترات المربعة، وتحتوي المنطقة على المباني الأثرية وعلى آلاف المقابر، ويعود تاريخ هذه المنطقة إلى فترة ما قبل الإسلام، وخاصة الفترة النبطية.

قصير عمرة:

يقع في الجهة الجنوبية الغربية من تبوك، ويبعد عن تبوك حوالي (١٥) كيلو متراً، وموقع القصر (القصير) بني على قمة جبل، ويضم معبداً صغيراً، ربما يكون، غالباً، معبداً نبطياً، لأن الأنباط كانوا يبنون معابدهم في المناطق المرتفعة، والمبنى مكون من حجرتين مبنيتين من الحجارة المشذبة، ومسقوفة من الحجارة المدرجة، ويطل المبنى على دروب متعددة هي:

- من الجهة الغربية حيث منطقة حسمى، وبعض الأودية، والحرة مثل: (قنا) و(الهدرة) والثميم.
- من الجنوب حيث دروب حرة الرحاء، والدروب التي سلكها الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، وقد استخدم القصر أو المعبد أيضا كبرج للمراقبة.

الصياني:

يقع على بعد حوالي (٢٠) كيلومتراً، إلى الغرب من بلدة حالة عمار، ومن المؤكد أن الصياني كان قرية زراعية، إذ إن لون التربة ووجود كسر الفخار يدل على ذلك.

المحيبل:

تقع إلى الشمال الغربي من مدينة تبوك، وتبعد عنها حوالي (٣٨) كيلومتراً. ويوجد في المحيبل مبان أثرية، من المؤكد أنها تعود لقرية زراعية.

وهنالك الطريق التجاري النبطي القديم، الذي كان يربط مناطق تبوك في الفترة النبطية بالمناطق الجنوبية، مروراً ببلدة المعظم، وحتى موقع مدائن صالح، إذ تتوزع العديد من المحطات التجارية النبطية على امتداد هذا الطريق. إن هذا الطريق التجاري الهام بشكل خاص، والآثار النبطية في مناطق تبوك وفي شمال غرب الجزيرة العربية بشكل عام، بحاجة إلى المزيد من الدراسات عن طريق إجراء المسوحات والتنقيبات الأثرية اللازمة.

النقوش الثمودية في منطقة تبوك:

وقد ورد أول ذكر للثموديون في كتابات الملوك الأشوريين، بأنهم هم الذين غزوا الجزء الشمالي من الجزيرة العربية، وتمركزوا فيه حقبة من الزمن، إذ ظهرت أول إشارة تاريخية مسجلة، تذكر الثموديين في قائمة سرجون الثاني (٧٢٢–٧٠٥) قبل الميلاد بالعراق، إذ عثر على قائمة باللغة المسمارية، تذكر الملك سرجون في إحدى انتصاراته التي حققها بعد حملاته على الجزيرة العربية تذكر اسم ثمود (الشتلة ١٩٨٠: ١٨٩؛ البكر ١٩٧٨: ١٧)، حيث دعوا بـ (Tamudi) و(Thamudi)، وقد تغلّب عليهم وأجلاهم عن مواطنهم إلى السامرة (Samaria) (مهران ١٩٨٠: ٢٦٩)، وهذه القائمة تؤرخ بعام (٧١٥) قبل الميلاد.

يقول الملك الآشوري في حوليات السنة السابعة: «طبقاً لوحي صادق من آشور إلهي، قضيت على قبائل تامودي ومرسيمانوا وخبايا والعرب الذين يعيشون بعيداً في الصحراء، والذين لا يعترفون برؤساء أو موظفين، والذين لم يكونوا قد جاءوا بجزاهم لأي ملك، سبيت الأحياء منهم ونقلتهم إلى السامرة» (مهران ١٩٩٤: ٣٢٥). وهناك نقش مسماري آخر في العراق، يذكر أن الثموديين الذين عاشوا في الجزيرة العربية، سكنوا منطقة تسمى بـ «خاجابا» (Hajappa)، وذكرت في الإنجيل باسم (EfA)، وهذا الاسم مذكور ومحفوظ على نقوش معبد «روافة» (الشتلة ١٩٨٠: ١٨٧).

وقد جاء ذكر الثموديين في النقوش السبئية أيضاً، ومن ذلك نقش يرجع إلى نهاية القرن السادس أو بداية القرن الخامس قبل الميلاد، ويحكي قصة اثنين من قبيلة ثمود كانا يباشران العمل في ري نخيلهما، وعلى الرغم من أننا لا نعرف من أي مكان جاء هذا النقش على وجه اليقين، فأغلب الظن أنه من بلاد سبأ (مهران ١٩٨٠؛ ٢٧٠). ووردت نقوش سبئية أخرى تذكر الثموديين، أحدها يذكر شخصاً اسمه «عبد» من قبيلة ثمود، وقد وجد في وادي «ثوبا» على بعد مئتي كيلومتر شمال شرق عدن، ونقش آخر وجد في «سيق» في وادي «ميفعا» جنوب عدن، ويذكر اسم ثمود (TMD) أيضاً (مهران ١٩٩٤: ٣٢٧؛ طلفاح ١٩٩٣: ١٥).

وجاء ذكر ثمود في النقوش الصفوية التي وجدت في الصحراء الأردنية في منطقة الرويشد والصفاوي، وأشارت إلى حرب بين ثمود وقبيلة «جشم» الصفوية. وورد ذكر ثمود (ث م د) أيضاً في النقوش الثمودية نفسها ست مرات، إذ وجدت هذه النقوش بمناطق مختلفة في الجزيرة العربية، أحدها في منطقة «لقط» غرب جبل «مسما» بحوالي ستين كيلومتراً (طلفاح ١٩٩٣: ١٤، ١٦). وتنتشر النقوش الثمودية، في أكثر من (٤٢٠) موقعاً في تبوك وشمال غرب الجزيرة العربية.

أمّا بالنسبة لمواطن ثمود، فقد تحدث الكتّاب من الأغارقة والرومان عن مواطنهم، فذكر أجاثر خديس الروماني (Agatharchiedes) (١٢٠) ميلادية، أن الشاطئ الصخري الذي يبلغ طوله مائة ستاده، ويقع وراء الجزر الصغيرة قريباً من الخليج الطويل للبحر الأحمر، كان يسكنه العرب الثموديون، ويقصد بذلك منطقة شمال غرب الجزيرة العربية (البكر ١٩٧٨: ١٢٥).

أمّا بليني أو بلينيوس (Plinius) (٣٢–٧٩) ميلادية، فقد ذكر أن ثمود ومواطنهم تقع بين دوماتا (Domata)، والحجر (Haegra) ومدينة بدناثا (Badnatha). وقد رجح العلماء أن المقصود بـ دوماتا والحجر دومة الجندل والحجر، أمّا المدينة الثالثة بدناثا، فيعتقد إدوارد جلازر أنها بيشة الحالية في عسير (مهران ١٩٨٠: ٢٧٢). وهكذا نرى أن بليني أسكن الثموديين في الداخل، ربما لأن الساحل في ذلك الوقت إنما كان يحتله اللحيانيون



الذيـن يعدّون فرعاً من الثموديـين، وذكر بطليموس (Ptolemy) في كتابـه الجغرافيا (Geography)، أن الثموديـين منتشـرون في شـمال غـرب الجزيرة العربية، بين (Sarakenoi) وبين (Apatae)، وأنهم سـكنوا منطقة مديـن (Madan) أو (Madiana). ويرى بطليموس أيضـاً أنه ربما امتد نفوذهم إلى ما وراء خليج العقبة، بل ويشـير أيضـاً إلى أنهم سكنوا في المناطـق الداخليـة أيضـاً، وبخاصـة حـول جبل «زاماتوس»، وأن معبدهم الرئيسي كان في «الروافة»، التـي تقع في أقصـى جنوب إقليم «حسـمي». ويظهر من جغرافية بطليموس أن ديار ثمود، غير بعيدة عن ديـار عاد، ليـس بينها وبين ديار عـاد (Oaditae)، إلا ديـار سـركيني (Sarakenoi)، وكلهـا في أعالي الحجاز، وفي تبوك وشـمال غـرب الجزيرة العربية، هذه المنطقة الجبلية التي تخترقها الطرق التجارية، التي توصـل الشام ومصـر بالحجاز واليمن. ويضع كلوديس بتولمايس (١٣٨–١٦٥) ميلادية موطن ثمود أيضاً بين سركيني (Sarakenoi) وبين (Apatae)، أي الجـزء الشـمالي الغربـي من بلاد العـرب على شواطئ مدين.

أمّـا ديودوروس الصـقلي (Diodorus S.) فقـد ذكر في كتابـه (Bibliotheca Historica)، أن القبائـل الثموديـة كانت منتشـرة في أماكن عديدة، علـى السـاحل الغربـي للجزيـرة العربيـة، إذ كانوا مجتمعات كبيرة ومتحضرة تعمل بالتجارة. بالنسبة لـ أراتوسثينس (Eratosthenes) (٢٧٦–١٩٤) قبل الميـلاد، فقد قسـم بلاد العرب إلى قسـمين: قسـم شمالي سكنه الأنباط، وقسم جنوبي سكنه المعينيون، والقتبانيون، والحضارمة، وبين الاثنين منطقة وسط –هي الحجاز وعسير– «يسـكنها عرب يقتفون الأثر ويرعـون الإبـل». وأكبر الظـن أن الرجل قد قصـد بذلك الثموديين الذين شاهدهم أراتوسثينس، الذي قام برحلته على سواحل البحر الأحمر الشرقية أيام بطليموس الثاني (٢٨٤–٢٤٦) قبل الميلاد.

أمّـا موزيـل (Musil) فقد ذكر أن قـوم ثمود، كانـوا يقيمـون علـى حيّد صـخري طويل لا يصـلح لسير السـفن، وليست فيه خلجان تسـتطيع أن تأوي إليه القـوارب فتحتمي من الريـاح، ولا ميناء تتمكن من الرسـو فيه، ولا موضـع أو جزر عنـده تقبل إليه القوارب الهاربة من الأخطار. ويظهر من وصف هذا المؤلـف أن موطـن ثمود كان في شـمال الحجاز، وفي مناطـق تبوك، وهذا يـدل على صـعوبة المكان الذي اختاروه ليكون مقراً لهم (Musil، ١٩٢٦: ٤٣)).

وفي رأي أورانيوس فـإن ثمود، تقـع على حدود المقاطعـة النبطيـة (مهـران ١٩٩٤: ٣٢٧)، أي في الجزء الشـمالي الغربي من بـلاد العرب. أمّا داوتي (Doughty) فيذهـب إلى أن الحجـر التـي سـكن بهـا قوم ثمـود، هي موضـع الخريبة شـمال «العلا» في الزمـن الحاضـر، لا مدائن صـالح التـي هي في نظره حجر النبط. وتقع مدائن صـالح على مسـافة عشرة أميال شمال موضع الخريبة، وتسمى الشقيقة الصغرى لمدينة البتراء (Doughty، ١٩٢٤: ٢٣)).

وعلى أي حال فإن جُلّ المصـادر الكلاسـيكية، تدلنـا علـى أن الثموديين قد سـكنوا المناطـق، التي سبق للجيوش الآشورية أن احتلتها منذ قرون مضت، وهـي مناطق «الجـوف» و«موصـري» حتـى «بدناثا» في الجنـوب. ولكـن يجب الأخـذ بعين الاعتبـار، أن الأماكن التي خصصـتها المصادر المختلفة كمواطن ثمـود، إنما كانت عرضـة للاحتـلال أو الإخلاء من جانب الثموديين، تبعاً للظروف السياسية السائدة في ذلك الوقت Brünnow، and von Domasweski، ١٩٠٤ – ١٩٠٥ – ١٩٠٩: ٥٦)).

إن الدراسـات الحديثـة تثبـت أن الثموديـين قد عاشوا في شمال الجزيرة العربية منذ أعماق التاريخ، وتركـوا لنا آثاراً ونقوشـاً، في كل مكان تقريباً من هذه الأرض، التـي تمتد من الجـوف شـمالاً إلى الطائف جنوباً، ومن الإحسـاء شـرقاً إلى يـثرب فأرض مدين غرباً، ومن المسالك المؤدية إلى العقبة والأردن وسورية، وحتى في أرض حضرموت من جنوب الجزيرة.

والثمودية هو الاسم الذي أُعطي للمخربشات (Graffiti) العربية الشمالية الأولى المكتوبة من قبل سكان المنطقة، والموجودة بكميات هائلة في شمال غرب الجزيرة العربية، وصحراء حسما (Hisma) في جنوب الأردن (Cadra ١٩٩٠: ١١). وهي كتابات قصيرة سريعة كتبت أو نقشت على حجارة مختلفة الأشكال، والأحجام، والأنواع حسب المناطق.

وقد دعيت هذه النقوش بالثمودية، لورود هذا الاسم في العديد من نقوشها، إذ وجد العلماء أن محتوى هذه الكتابات كلمة (ث م د) مما دفع ليدزبارسكي (Lidzbarski)، إلى إطلاق اسم الثموديين على أصحابها. لكن البعض مثل «هوبرت كريمة» يرى أنها لأناس عاشوا معهم وجاوروهم.

والأبجدية التي استخدمت في النقوش الثمودية قريبة من الخطوط العربية الأخرى، كاللحيانية، والحميرية، التي تشبه الثمودية في كونها مخربشات عرضية (Harding، and Littmann ١٩٥٢: ٧). ومن الجدير بالذكر أن واحة تيماء وجدت فيها أقدم نقوش ثمودية، كتبت بخط يمثل أقدم أنواع الخط الثمودي، وسمي بالخط التيماني، والملاحظ أيضاً أن الأبجدية الثمودية قريبة جداً من الأبجدية الصفوية (ديسو ١٩٥٩: ٦٤).

وهناك نوعان من الكتابة الثمودية: الكتابة الثمودية القديمة التي ترجع إلى ما قبل عام (١٠٠٠) قبل الميلاد (سيد ١٩٨٤: ٣٥٩)، وقد دونت بقلم ثمودي قديم (علي ١٩٧٦: ٣٣٠).

وهنالك الثمودية الجديدة أو المتأخرة، وهي تنتشر على صخور الحجاز، مع الكتابات العربية الشمالية الأخرى (سيد ١٩٨٤: ٣٥٩)، وقد كتبت بقلم ثمودي متطور، تختلف أشكال حروفه ورسومها بعض الاختلاف عن القلم القديم. ومن الملاحظ أن للقلم الثمودي صلة بخط (طور سيناء)، كما أن له علاقة بالخط المسند (علي ١٩٧٦: ٣٣٠).

وتعد النقوش والرسومات الصخرية في منطقة جبل اللوز، في شمال غرب الجزيرة العربية، التي تعود في تاريخها إلى حوالي ١١ ألف سنة قبل الميلاد، وخاصة التي عثر عليها في موقع مصيون، إذ إن هذه النقوش لا علاقة لها بالعبادات القادمة من مصر، أيام النبي موسى عليه السلام، إنما هي تمثل الحضارة المحلية التي كانت سائدة في شمال غرب الجزيرة (الأنصاري، ٢٠٠٢: ٨٦).

وقد اهتم الجغرافيون الأوروبيون، بالبحث عما خلفته القبائل الثمودية في الجزيرة العربية، وقام العديد منهم خلال القرنين السابقين، باكتشاف وترجمة العديد من النقوش الثمودية. ومن هؤلاء أميك ريدجر (Emik Rödiger) الذي قام بأول محاولة للتعرف على هذه النقوش عام (١٨٣٧) ميلادية، وقام بجمع البعض منها. وفيلهلم (Wilhelm)، وبيستون (Beeston)، ورينيه ديسو (Rene Dessot)، وهوبر (Huber)، ويوتنج (Euting)، ودوتي (Charles Doughty)، وجوسان وسافينياك (Jaussen and Savignac)، ووينت (Winnet) وغيرهم كثيرون. وقد أثبتت لنا تلك النقوش، مدى ما كانوا عليه من تأثير وعظمة، وألقت مزيداً من الضوء على حياتهم ومجتمعاتهم.

والنقوش الثمودية قصيرة وموجزة، كتبها ونقشها الثموديون، ليسجلوا أسماءهم للذكرى، وقليل منها أدعية لآلهتهم، وهي صعبة القراءة لأنها خالية من الشكل والإشباع والحركات والتشديد. وهي من ذلك النوع الذي يكتب في مناسبات شخصية مختلفة، وتتحدث عن موضوعات دينية وأدعية لآلهة ثمود، كما أنها ليست ذات فائدة تاريخية كبيرة (علي ١٩٧٦: ٣٢٨)، وإن كان بعضها يدلنا على علاقات من نوع ما، بين الثموديين والأنباط وغيرهم، فضلاً عما تفيده من الناحية اللغوية، وفي معرفة أسماء الثموديين ولهجاتهم، بخاصة أنها كتابة متطورة من خط المسند.





صورة نقش لأحد الأشخاص وعلى اليسار أحد النقوش الثمودية



صورة توضح نقشا لإحدى الأبقار الوحشية، التي كانت منتشرة في تبوك منذ العصور القديمة



صورة لبعض النقوش الثمودية من وادي حجيلة (نصلة الجرة) شمال جبل اللوز (الأنصاري، ٢٠٠٢: ١٢٦)

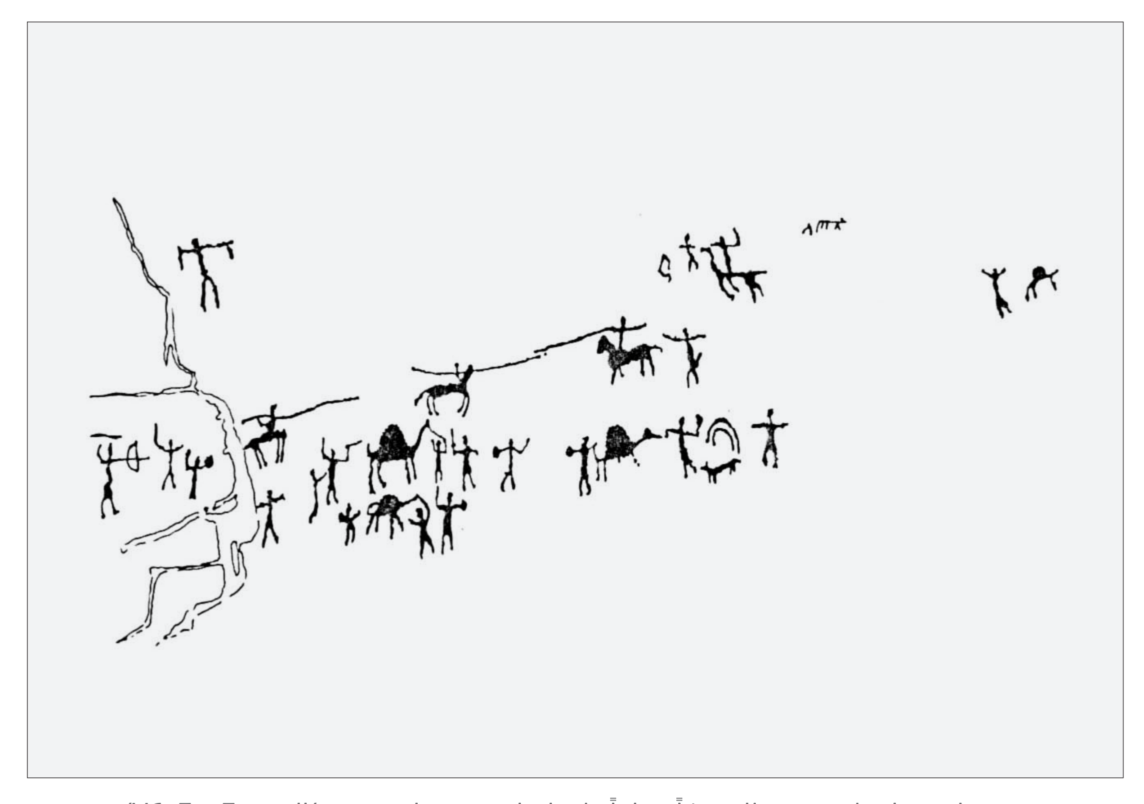


صورة توضح نقشاً ثمودياً لأحد الإبل





صورة توضح نقشا ثمودياً لأحد الخيول وعليه السرج



صورة لرسومات ثمودية تمثل جيشاً محارباً عثر عليها في صحراء حسمى)الدغيم ٢٠٠٢: ٧٤)



كتابات ثمودية من منطقة رم جنوب غرب تيماء، في وسط الصورة كتابة ثمودية تشير إلى (هذا نضر ابن طم) (أسكوبي، ١٩٩٩: ٥١)، ونضر بن طم هو أحد الأسماء الثمودية

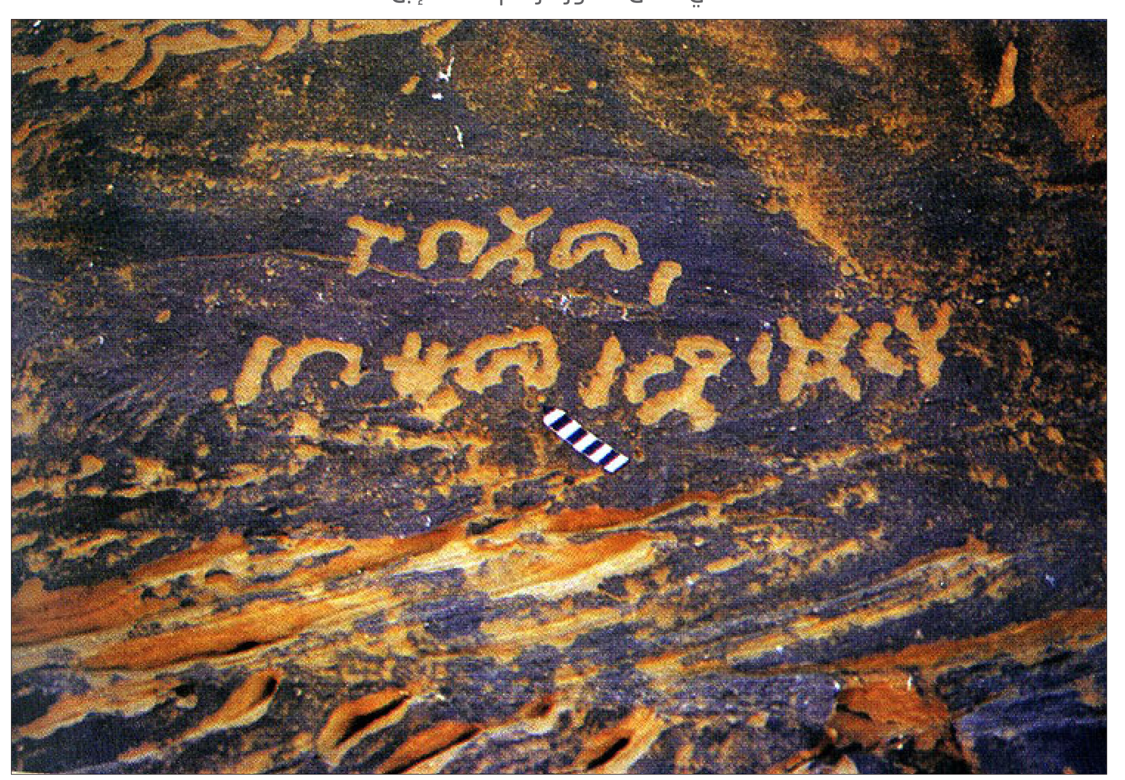


كتابات ووسوم ثمودية من منطقة رم جنوب غرب تيماء، في وسط الصورة كتابة ثمودية تشير إلى اسم أحد الأشخاص المدعو(ل زيد إل) (أسكوبي، ١٩٩٩: ٥٩)

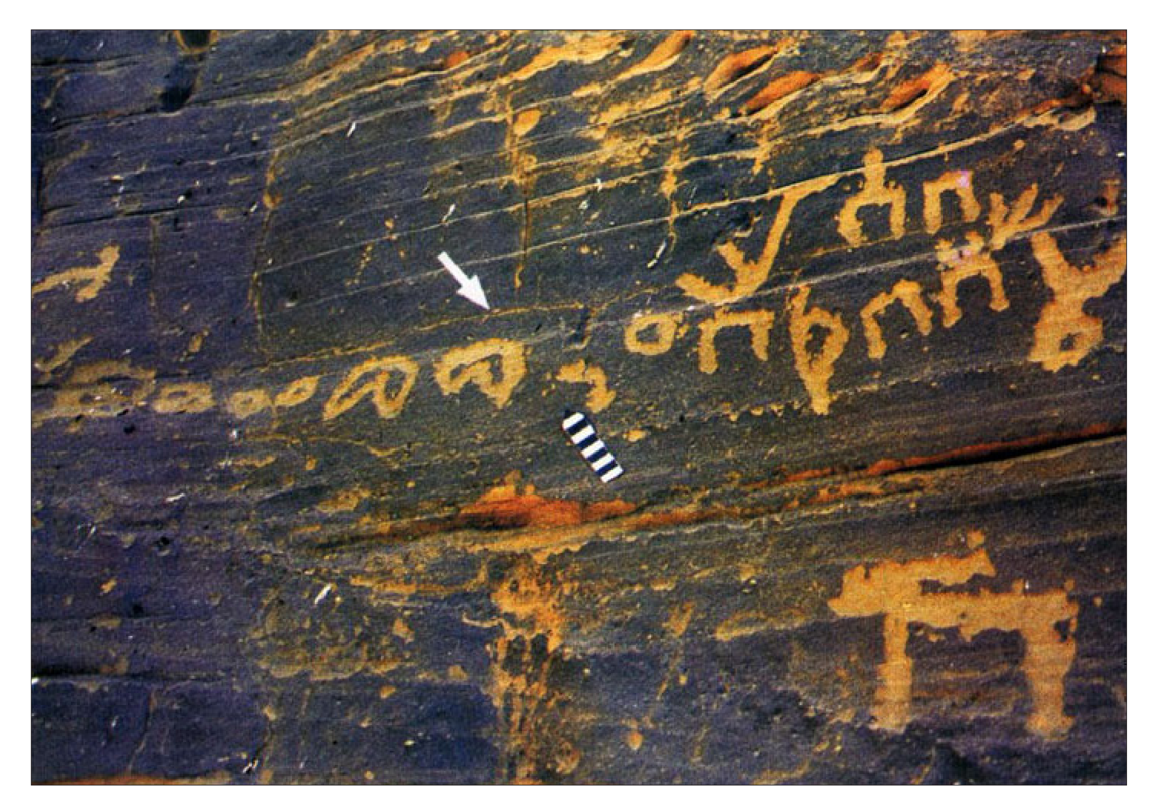




كتابات ثمودية من منطقة رم جنوب غرب تيماء، ذكرها جوسين وسافينياك في مطلع القرن الماضي، في وسط الصورة كتابة ثمودية تشير إلى اسم أحد الأشخاص المدعو (ود إل بن نتن) (أسكوبي، ١٩٩٩: ١٤٣). في أعلى الصورة رسم لأحد الإبل



كتابات ثمودية من منطقة رم جنوب غرب تيماء، تذكر (يا رض اقطع وادفع البأس) وربما كاتب النقش كان يستغيث بالمعبود رض (رضى) لكي يدفع عنه اليأس(أسكوبي، ١٩٩٩: ١٦٣)



كتابات ثمودية من منطقة رم جنوب غرب تيماء، ذكرها جوسين وسافينياك في مطلع القرن الماضي، ويذكر النقش (نام عند عمه) أي أن كاتب النقش قصد أنه نازل أو مقيم عند عمه (أسكوبي، ١٩٩٩: ١٦٦)



كتابات ورسومات ثمودية من منطقة رم جنوب غرب تيماء، ذكرها جوسين وسافينياك في مطلع القرن الماضي، ويذكر النقش اسم (بن حمد من يأج)، كما ترد الإشارة إلى المعبود نهى الذي يستغيث به أهل أو سكان وجاج، وربما كان يقصد بها ديار قوم عاد، وفي أعلى الصورة رسمة لناقة (أسكوبي، ١٩٩٩: ٢٠٧)، وفي أسفل الصورة من الجهة اليمنى رسمة لنعامة، ومن المعروف أن النعام كان يوجد في مناطق تبوك وشمال غرب الجزيرة العربية منذ العصور القديمة





كتابات ثمودية من منطقة رم جنوب غرب تيماء، ويذكر النقش أسماء (شربن بن عزرن وحليم بن أوسان) (أسكوبي، ١٩٩٩: ٢٣٠)



كتابات ورسومات ثمودية من موقع قارة السحيمة في منطقة رم جنوب غرب تيماء، يظهر على الصخرة رسومات ثمودية يمثل أحدها جملاً ضخماً وحوله بعض الكتابات الثمودية (أسكوبي، ١٩٩٩: ٣١١).



صورة لمنطقة عقيلة أم خناصر، إحدى المناطق في رم جنوب غرب تيماء، والتي تكثر فيها الكتابات والرسوم الثمودية (أسكوبي، ١٩٩٩: ٣٩٦)

وتوجد في مناطق تبوك أكثر من (٤٢٠) موقعاً للرسوم والكتابات كما أسلفنا سابقًا، ومن الذين بحثوا بشكل موسع، في النقوش الثمودية في منطقة تبوك سليمان بن عبدالرحمن الذييب، من جامعة الملك سعود، إذ قام بدراسة النقوش في مناطق الرجوم، وطور القواس، وعيرين، وتبحر، ومنطقة الهند وكل هذه المناطق تقع في تبوك. وعثر سعيد بن فايز السعيد من جامعة الملك سعود، على مجموعة من النقوش الثمودية في منطقة وادي العصافير بتبوك. كما قامت وكالة الآثار والمتاحف في المملكة العربية السعودية، بعمليات المسح الأثري للنقوش والكتابات في منطقة حسمى، وجبل اللوز، ومنطقة ممر بطينة، وقاع بني مر، والبدع، وتم العثور على مجموعة من النقوش النبطية، والثمودية، وبعض النقوش المعينية، بالإضافة إلى مئات الرسوم الصخرية.

وقد قدمت لنا هذه النقوش والكتابات، معلومات عن الأدعية الدينية عند الثموديين، وبعض الأدعية للخلاص من الأمراض، والاستغاثة من خطر الأعداء، وأشارت بعض النقوش، أيضاً إلى الحديث عن بعض المهن، التي كان يمارسها الثموديون، كمهنة الطب (الذييب ١٩٩٤:؛ السعيد ١٩٩٦).

إلى جانب ذلك، فإن النقوش الثمودية لا تخلو من مواضيع أخرى، تطرق إليها كاتبو النقوش، ففيها النقوش التذكارية، ونقوش التملك أو الملكية للأشياء، والنقوش الدينية، ونقوش المودة والمحبة، ونقوش الحزن، ونقوش الحرب، ونقوش أخرى ذكرت في مناسبات متنوعة. وقد تطرقت النقوش أيضاً إلى ذكر الكثير من الأسماء، كأسماء القبائل والأعلام، التي كانت معروفة عند الثموديين.



أمّا فترة كتابة النقوش الثمودية فهي غير مؤكدة، وإن كان بعض العلماء يعيد تاريخها إلى فترة تقع بين القرن الثاني قبل الميلاد والقرن الثالث بعده، إن لم يكن بعد ذلك أيضاً، والبعض الآخر يرجعها إلى القرن السابع قبل الميلاد، وآخرون يرجعونها إلى ما بعد الميلاد. فقد ورد في أحد النصوص ذكر للسيد المسيح عليه السلام، ولا يعرف تاريخ هذا النص على وجه التحديد، ولكن يرى ليتمان (Littmann) في ذلك، أقدم دليل على انتشار المسيحية في شمال شبه الجزيرة العربية (المحيسن، الطرشان ٢٠٠٥: ٤٣).

لقد عثر الآثاريون على نقوش ثمودية في مناطق مختلفة من شمال غرب الجزيرة العربية، وتمتد من الجوف شمالاً إلى الطائف جنوباً، ومن الإحساء شرقاً إلى يثرب فأرض مدين غرباً. ووجدت في مدائن صالح ممتدة إلى جنوب الأردن، وربما البتراء، ولكن لا يميل وينيت (Winnet)، إلى تأريخ هذه النقوش إلى ما بعد (٣٠٠) ميلادية. وفي أم الرصاص قرب مادبا، وآدر قرب الكرك، وفي الصحراء الشرقية قرب الأجفور (H٤)، وجبل أرجا، وجبل طبيق، وفي رجم الشيد، وفي مقاطعة الحسمة شمال شرق العقبة ووادي رم. وفي هذه المناطق كانت معظم النقوش مخدوشة ومطروقة على حجارة رملية صخرية، أو على صخور متآكلة بفعل الماء، وكانت غير واضحة تماماً، مما جعل تصويرها وقراءتها غير ميسرة (Harding، Littmann ١٩٥٢: ٧). ووجدت نقوش ثمودية أيضاً في الأردن في الديسة، ووادي الحفير، ووادي رابغ، ووادي طفيف، والمقور، إذ تعدّ هذه المناطق من أهم المراكز التي كانت ترتادها وتسكنها القبائل الثمودية (المحيسن ١٩٨٨: ٦).

وهنالك نقوش ثمودية أخرى في الجزيرة العربية مثل حائل في نجد، وفي الطائف وطور سيناء، وفي الصفا شرقي دمشق، وفي مصر، والحرة، والرحبة شمالي غربي تدمر، وفي حجر المعقاب عند جبل حليل في اليمن (علي ١٩٧٦: ٣٢٩)، وفي المدينة المنورة، في موقع وادي الأب الذي يبعد عنها حوالي (٧٠) كيلومتراً، وفي مكة المكرمة، والطائف، موقع ريع الزلالة في الطريق بينهما (مهران ١٩٨٠: ٢٨٣).

والملاحظ أن أكثر النقوش الثمودية موجودة دائماً على الطرق الرئيسية عند مصادر المياه مثل: تبوك، ورم، وعرجا، مع وجود نقوش قليلة على مسافة من الشارع الرئيسي ولكن قرب المياه، مثل: كلوة، وهضبة الحمرا.

والشيء المؤثر في الحياة العربية الشمالية منذ آلاف السنين، هو العدد الكبير من السكان، الذين يعرفون القراءة والكتابة، أو على الأقل أسماءهم. فهناك نص يعرف منه أن فتاة صغيرة كتبت اسمها على الصخر، على حين كان والدها يراقبها عن قرب، فضلاً عن أنه هناك من احترف مهنة الكتابة، بدليل وجود الاسم «كتب» أي كاتب، وهذه النقوش الثمودية – من دون شك – هي وثائق الجمالين العاملين في القوافل من مكان ما في ديدان (Harding، Littmann ١٩٥٢: ٧).

إن النقوش الثمودية كانت ولا تزال محل نقاش وبحث وتحليل من المستشرقين والعلماء العرب المهتمين بالدراسات اللغوية العربية قبل الإسلام، منذ حوالي مائة عام وإلى يومنا هذا، نظراً لما لهذه الدراسات من أهمية خاصة، لأنها تعدّ من أهم المصادر لدراسة أحوال وتاريخ الجزيرة العربية.

المجتمع الثمودي كما تبرزه النقوش:

تبين لنا النقوش الثمودية أن المجتمع الثمودي مجتمع قبلي، تكونت من بيوتاته وأهله وعشائره القبائل، وهي مجموع الأمة التي كان لها نظمها الخاصة بها.

والأسرة هي أصغر تكوين اجتماعي، ولا يتكون إلا من الأب والأم وأولادهما، ويلي هذه الفئة الأهل، وهو التكوين الأكبر من البيت، وهو الفصيلة، أي أهل الرجل وخاصته، والفئة الأخرى العشيرة وجمعها

عشائر، أمّا الفئة الكبيرة فهي القبيلة، وهي التي تضم الشعب وتجمع العمائر.

وتظهر الكتابات الثمودية أن قوم ثمود كانوا زراعاً وأصحاب ماشية، وأنهم كانوا أقرب إلى أهل الحضر منهم إلى أهل الوبر، فقد كانت لهم مستوطنات ثابتة استقروا فيها، وكانت لهم معابد ثابتة أيضاً، أي مبنية، وبينهم قوم اشتغلوا بالتجارة (مهران ١٩٨٠: ٢٨٦؛ علي ١٩٧٦: ٣٣٠). وقد وصلت الينا أسماء ثمودية كثيرة، مثل: «أوس»، و«سعد»، و«كربال»، و«عوذ»، و«عذرال»، و«وعياش»، و«بارح»، وغيرها الكثير (علي ١٩٧٦: ٣٣٢). ومن الجدير بالملاحظة أن أسماء الأعلام في النقوش الثمودية تماثل أسماء الأعلام في اللغة العربية الفصحى، ولكن مع وجود تأثير عربي جنوبي فيها، وبعض الأسماء الأخرى يوجد بها تأثير نبطي.

ووجدت هناك أيضاً رسومات صاحبت النقوش الثمودية، فقد صورت الرسوم الثموديين على شكل أشخاص ذوي قامة، وكان الرجال ذوي شعور قصيرة، ويلبسون إزاراً وحزاماً في الوسط، وهم حاسروا الرؤوس، أو يلبسون غطاء من القش، أو ثوباً وكوفية. أمّا المرأة فقد رسمها الثموديون باستمرار، ذات شعر طويل، وقوام ممشوق، تلبس ثياباً طويلة، ولا يظهر من جسدها ما يشين. وهناك بعض المناظر التي تبدو فيها المرأة، وقد حملت سلة فوق رأسها، وارتدت ثوباً طويلاً ينزل حتى العرقوب وارتدت خماراً. وكانت المرأة الثمودية تتزين بالحلي والأساور، فضلاً عن العقود، التي كانت على هيئة الهلال أو الجمل. كل ذلك يدل على أنه كان للمرأة مركزاً حساساً ومرموقاً في نظر الرجل كأم وزوجه... الخ، وقد زودتنا النقوش الثمودية بطائفة من أسماء النساء التي وردت في نقوش العشاق، أو في نقوش النساء أنفسهن (مهران ١٩٨٠: ٢٨٧).

وكان للثموديين أعياد، وكانت بمثابة مواسم تجارية، ودينية، واجتماعية، تقع في فصول السنة الخصبة -مثلما كان الحال عند بقية العرب-. فقد قال عبيد بن شرية في مروج الذهب: «كان لثمود عيد في كل سنة، يخرجون فيه إلى بعض نزهاتهم بأوديتهم، فيخرجون بالخمر والطعام والأجزار، ويخرجون معهم أصنامهم التي يعبدونها، ويقيمون هناك أياماً يأكلون ويشربون ويلعبون، وتضرب لهم القيان بالدفوف والمعازف، ويجتمعون لذلك العيد من قراهم في ذلك الموضع لذلك اليوم» (عبدالحميد ١٩٧٦: ١١٤).

أهمية النقوش الثمودية في الكشف عن تاريخ المنطقة الاقتصادي:

تشير النقوش الثمودية في مناطق تبوك، وفي شمال غرب الجزيرة العربية، إلى الحياة المستقرة التي كان يحياها القوم، فقد ظهر أن قسماً من الثموديين اشتغل بالزراعة، التي كان لها دور هام في حياتهم (البكر ١٩٧٨: ١٢٦). فلقد وجد رسم بجانب نقش ثمودي، يبين منظراً زراعياً عبارة عن رجال مع محراث يجره حيوانان - قد يكونان ثورين -، وقد يكون الرسم مضافاً في وقت لاحق، لولا أنه مصاحب لنقش ثمودي.

ولا شك أن الأرض التي يقطنها الثموديون كانت وفرة وخصبة، إذ تدلنا الآيات القرآنية الكريمة على أن قوم صالح (الثموديين) كانت أراضيهم ذات بساتين وعيون وسهول فسيحة، فيها أنواع الزروع والنخيل والرطب اللين. وهناك ما يشير إلى أن القوم قد عرفوا زراعة العنب، بدليل وجود الاسم «عناب» أي تاجر العنب، وتشير الرسوم المتعددة لشجرة النخيل وإلى أن ثمارها ربما كانت الغذاء الرئيسي للثموديين. وقد عرفوا أيضاً زراعة القطن، بدليل وجود الاسم «برس» أي شعر القطن، والاسم «هلق» أي هلاج القطن، وهناك ما يشير إلى معرفتهم بزراعة البصل والبخور والورود (مهران ١٩٩٤: ٣٤٠).



أمّا الرعي فهو حرفة معروفة في الجزيرة العربية منذ القدم، ومن الثموديين من قام بهذه المهنة وخاصةً البدو منهم، الذين كانوا ينتقلون من مكان إلى آخر، طلباً للرعي والمياه، فتركوا نقوشاً هنا وهناك، وذكروا أنهم حلوا هنا وباتوا هناك، وتيقظوا في ذلك المكان وهكذا. وعرف الثموديون الحيوانات واستخدموها في الزراعة والرعي والركوب والتنقل، مثل: الجمل والحصان والحمار والماعز والأغنام، إذ وردت رسومات لخيول مسرجة، وغير مسرجة، يمتطيها الفارس ليحارب أو يقاوم حيواناً متوحشاً، ورسموا الجمل والناقة الأنثى(المحيسن، الطرشان ٢٠٠٥: ٤٨).

وكان الصيد أيضاً من مظاهر الحياة الضرورية في حياة الثموديين، غير أنه لم تصلنا نقوش تذكر الصيد مباشرة سوى القليل، لكن ترافقها مناظر صيد بكثرة، وهذه الرسوم توضح بعض مناظر الصيد في الحياة. فقد عثر على ثلاث رسومات في الجبال الداخلية لسفن كان يستعملها القوم في صيد الأسماك، وقد عثر على سفن من الطراز نفسه في صخور وادي الحمامات، في صحراء مصر الشرقية، بجوار بعض النقوش الثمودية، الأمر الذي يحمل على الظن بأنها مراكب استعملت في عبور البحر الأحمر (مهران ١٩٨٠: ٢٨٧).

وكان للثموديين في تبوك وشمال غرب الجزيرة العربية قوة عظيمة ونشاط تجاري مزدهر، واستطاعوا عن طريق نفوذهم ونشاطهم التأثير على حضارات الشمال. وإذا كانت نقوشهم يعود بعضها إلى قرابة الألف الأول قبل الميلاد، فيمكن أن نتصور ما كانت عليه مجتمعاتهم النشطة، خاصة وأنهم تجولوا في أرجاء الجزيرة العربية، وتركوا لنا الكثير من النقوش والرسوم (الشتلة ١٩٨٠: ١٨٥).

ولما كان موطن الثموديين على الطريق التجاري «طريق البخور»، امتهن قسم منهم التجارة وزاولها (البكر ١٩٨٧: ١٢٦)، وكان فريق منهم بدواً رحلاً، ومن بينهم من كان يعمل في تجارة القوافل، أو من «أهل العير» على حد تعبير النقوش (مهران ١٩٨٠: ٢٨٧). والبعض منهم عملوا كوسطاء، نظراً لموقعهم الهام في أعالي غرب الجزيرة العربية، وعلى الطريق التجاري الذي يربط جنوب الجزيرة العربية بشمالها، وببلاد الشام ومصر. فقد وجدت نقوش الثموديين في اليمن وفي سيناء وفي العقبة، وكلها مراكز تجارية هامة في تلك الحقبة. وقد كانت مدين، وهي المدينة التي ذكرها بطليموس، على أنها مسكن الثموديين، ذات مياه كثيرة في شمال البحر الأحمر، إلى الجنوب الشرقي من شبه جزيرة سيناء، وكانت بمركزها تعدّ محطة تجارية بين الحجاز والشام ومصر (فروخ ١٩٦٤: ٤٨).

فمن الواضح أن معظم سواحل البحر الأحمر كانت تحت سيطرة الثموديين، وبالتالي تحكموا في طرق التجارة وتنظيمها وتوفير الحماية لها. وكانت لهم قوة كبيرة في شمال الحجاز، والجزيرة العربية، إذ إنهم كانوا منتشرين في معظم تلك المناطق بقوتهم ونفوذهم، ويبرهن على ذلك العديد من النقوش والرسوم الثمودية التي تركوها لنا (الشتلة ١٩٨٠: ١٨٦). فقد وجدت رسوم لقوارب، ومن الممكن أن تكون هذه القوارب للتجارة، وإذا كان الأمر كذلك، فهذا يدل على أنهم بلغوا مبلغاً متطوراً في فن التجارة البرية والبحرية.

ولكن قوم ثمود لم يبلغوا في ميزان النحو التجاري ما بلغه آخرون من المنطقة نفسها، كما أن الثموديين لم يستطيعوا تكوين مملكة بالمفهوم الحضاري في يوم من الأيام، بل إنهم فشلوا أن يفرضوا سلطتهم الإدارية على المناطق التي وقعت تحت سلطتهم يوماً ما لسبب أو لآخر.

ديانة الثموديين كما توضحها النقوش:

جميع الأمم والشعوب كانت لها معتقداتها وطقوسها الدينية التي مارستها على الدوام، ومنهم الثموديون. فالديانة الثمودية متشابكة معقدة، إذ إن التجمع الإلهي عندهم يدل على ديانة وثنية شركية قائمة على تعدد الآلهة الذي ساد في شمال غرب الجزيرة العربية، وبلاد ما بين النهرين، وبلاد الشام، ألا وهي عبادة الثالوث المقدس: الشمس والقمر والزهرة، إلى جانب آلهة عديدة، إما صفات لهذه الآلهة الكبرى أو أنها فروع منها.

ومن أصنام ثمود: الصنم «ود»، و«جد هد» أو «جد-هدد»، «وايليا»، و«شمس»، و«مناف»، «ومناة»، «وكاهل»، و«بعلة»، «ورضو» (علي ١٩٧٦: ٣٣١)، الذي كان من أقدم الآلهة وأهمها في شمال الجزيرة العربية قبل الإسلام، والذي أعطي العديد من الصفات من قبل الثموديين أهمها الرفعة أو السمو. وقد كان هذا الإله يعبد عند الثموديين والصفويين على حد سواء، ولكن كان الاختلاف بينهم، هو تحديد طبيعة الجنس لهذا الإله.

ومن الأصنام الأخرى: «عثيرت»، و«وتن»، و«هادي»، و«بجل»، و«عسحرد»، و«تجر»، و«دبر»، و«أحور»، و«إله» (علي ١٩٧٦: ٣٣١). وهناك أيضاً «خرج»، و«ستار»، و«سمن»، و«عوص»، و«إله»، وقد ذكره الثموديون منفرداً ويصفونه بصفاته، أو أنهم يوردونه دون تحديد لمطلب أو غاية من ذكرهم له (طلفاح ١٩٩٣: ٤٢).

هناك نصوص ثمودية، يظهر عليها أثر عبادة الإله «صلم» (Salm)، وقد كانت تيماء من أهم الأماكن التي كانت تقدس هذا الإله في حوالي سنة (٦٠٠ قبل الميلاد)، ويبدو أن الثموديين أخذوا عبادة «صلم» عن أهل تيماء (مهران ١٩٨٠: ٢٨٨؛ علي ١٩٧٦: ٣٢٩). وعثر في نجران أيضاً على نقشين سبئيين ورد فيهما اسم الإله «صلم»، في العقد الذي استوطن فيه الملك البابلي نبونيد بتيماء، أي في الفترة (٥٥٥-٥٤٦ قبل الميلاد)، بعد حملته المشهورة التي احتل فيها تيماء، وديدان، وخيبر، ويثرب. وقد وجدت أسماء بعض الآلهة التي كان يتعبد لها أهل تيماء، منقوشة في النصوص الثمودية، مما يدل على أن قوم ثمود كانوا يتعبدون لها كذلك، وأن هناك صلات ثقافية ودينية بين تيماء وثمود (علي ١٩٧٦: ٣٣٠).

وأحياناً سمى الثموديون أطفالهم بأسماء الآلهة، تيمنا وتبركاً ورهباً وخوفاً منها، وحتى يكون هذا المولود مباركاً ذا حظ سعيد في حياته، شبيهاً بالآلهة التي تسمى أو سمي بها. وقد يراد للطفل أن يصبح شريراً أو بطلاً في الحروب، فيسمى باسم إله الحرب، أو يكون العكس للعدل والرحمة.

وقد كان لهذه المعبودات سدنة يخدمونها، يعرف الواحد منهم باسم «قسو» أي قس (مهران ١٩٨٠: ٢٨٨). ومن الجدير بالذكر أنه قد وجد نقش ثمودي لا يعرف تاريخه، رسمت فيه دائرة داخلها نقش يشبه الصليب، وهذا أقدم شاهد عرف حتى الآن عن انتشار المسيحية في شمال شبه الجزيرة العربية (البكر ١٩٧٨: ١٢٦).

واتجه الثموديون إلى حفر قبورهم في بيوتهم، ولجئوا إلى التحنيط واستعمال الأكفان، وقد كانت أكفانهم من الأنطاع وخيوطهم من المر، وكانوا أحياناً يلفون الميت بالجلد ثم يدفنوه. وقد وضع الثموديون الرجوم فوق قبورهم في مناطق شمال غرب الجزيرة العربية، ومثال على ذلك موقع رجوم شوهر في تبوك، وفي بعض الأحيان وجدت نقوشاً على هذه الرجوم (المحيسن، ١٩٨٨: ٧).





خارطة لمملكة الأنباط تشكل مناطق تبوك وشمال الجزيرة العربية حيزاً مهماً فيها

أماكن انتشار النقوش والكتابات والرسومات النبطية في منطقة تبوك:

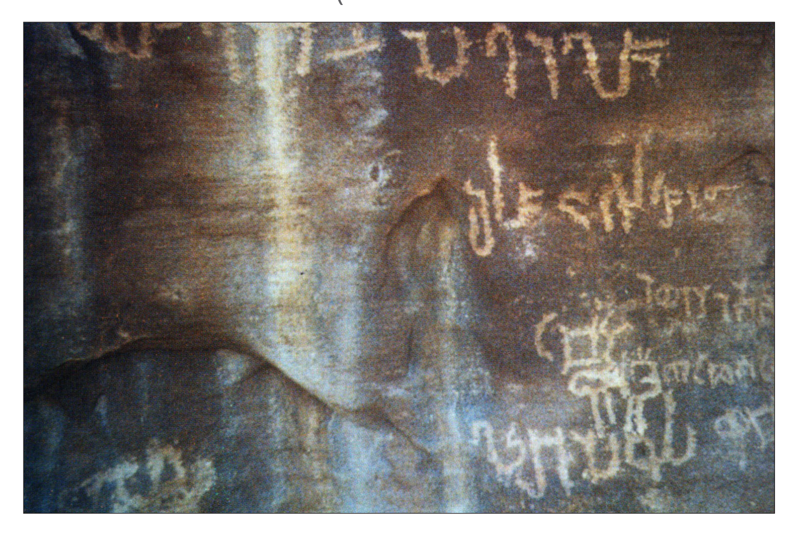
وفيما يتعلق بالمصادر الأثرية، فقد أمدتنا الحفريات الأثرية في المواقع النبطية في شمال غرب الجزيرة العربية بمعلومات هامة عن الحضارة النبطية، خصوصاً فيما يتعلق بالناحية المعمارية، ونَحْتِ الواجهات الصخرية، ونُظُم الري، والزراعة، وصناعة الفخار، والمسكوكات، وخاصة في موقع البدع، وفي مدين، وفي روافة، وفي تيماء؛ مما ساعد في التعرف على الحياة الاجتماعية، والدينية، لمقارنتها بما ذكر عنها في المصادر التاريخية.

وتم العثور في هذه المنطقة الواسعة على العديد من المنشآت النبطية، التي تدل على نشاط الأنباط التجاري، وعلى سيطرتهم على المناطق وتنظيمها، وذلك بإنشاء مراكز دفاعية، استخدمت لحماية الطرق التجارية، ومراكز لاستراحة القوافل، إذ عُدّت المنطقة بمثابة حلقة وصل بين مختلف المواقع النبطية.

وتنتشر النقوش النبطية في تبوك وشمال غرب الجزيرة العربية وصحراء مصر الشرقية، انتشاراً واسعاً من ساحل مصر الشمالي حتى المناطق الواقعة إلى الجنوب من وادي الحمامات (سيد، ١٩٨١: ٤٣).



صورة لبعض النقوش النبطية والثمودية من جبل خوي رشود (الأنصاري، ٢٠٠٢: ١٢٦)



صورة لنماذج من النقوش النبطية في منطقة تبوك (الأنصاري، ٢٠٠٢: ١٢٧)

وقد استخدم الأنباط الخط الآرامي في الكتابة، إذ كانت لغتهم عربية وتكتب بالخط الآرامي، وحسب رأي العلماء جاء التشابه بين الأسماء وتشاركها بين الأنباط والعرب، نتيجة الاختلاط بين الشعبين، بحكم رابطة الجوار التي كانت تربطهم.

ولكن لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، وإنما كان هناك من يجيد اللغة اليونانية أيضاً، إلى جانب اللغة العربية والخط الآرامي، وتم العثور على عدة نقوش محفورة في المواقع النبطية، والتي كتبت بالأحرف النبطية واليونانية، كالتي وجدت في معبد روافة في تبوك.

وتنتشر النقوش، والكتابات، والرسومات النبطية، في مناطق متعددة من تبوك وسبق أن أشرنا أليها، ومن هذه المناطق موقع جبل اللوز، وحسمى، وجبل خوي رشود، وتيماء.

وقد سبق أن أشرنا إلى عمليات التنقيب عن الآثار في جبل اللوز، وبالتحديد في موقع (أبا العجل)، إذ قامت بعثة أثرية سعودية بالتنقيب في هذا الموقع، برئاسة عبدالله بن سعيد أبو رأس، إذ تم الكشف عن مبان أثرية هامة، منها مبنى يعود تاريخه إلى الفترة النبطية، ويتكون المبنى من أربع غرف أمامها ساحة مفتوحة.

وقد عثرت البعثة الأثرية، على كميات من كسر الفخار، تمثل أجزاء من الأطباق، وجرار الطبخ، والأباريق، ويعود تاريخ هذه الأواني الفخارية إلى الفترة النبطية، من حوالي القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الثاني الميلادي (الأنصاري، ٢٠٠٢: ٦٨-٧٤).

ولعل التنقيبات الأثرية التي تجريها وكالة الآثار والمتاحف في المملكة العربية السعودية، بالتعاون مع الجامعات السعودية، أو مع الفرق والبعثات الأثرية الأجنبية، في مختلف المواقع النبطية من مناطق تبوك وشمال غرب الجزيرة العربية، ستكشف عن المزيد من المعلومات عن الحضارة العربية النبطية القديمة، وتقدم لنا إجابات عن الكثير من الأسئلة المطروحة حولها.

ومن النقوش النبطية التي عثر عليها في منطقة تبوك كما جاء في مدونة النقوش النبطية في المملكة العربية السعودية. مج٢ لمؤلفه أ.د.سليمان بن عبدالرحمن الذييب:


شاهد قبر عليه كتابة نبطية موجود في متحف الآثار بتيماء. وشاهد القبر على غاية من الأهمية، لأنه الوحيد من بين شواهد القبور النبطية، الذي نحت في أعلاه صورة للإلهة العزى التي عبدها الأنباط


صورة لبعض كسر الفخار التي تم العثور عليها في المبنى الذي تم الكشف عنه في موقع (أبا العجل) في جبل اللوز (الأنصاري، ٢٠٠٢: ١٣٥)



نقش جبل قاع أبو مر

ب ل ي ل س م ح ن ي ن وب ر ح ور و

بلى تحيات حنين بن حور

(ص ٩٨٣)

نقش الحرة

ع ب د م ل ك و

ب ر ا وف ل ي ون

س ل م

تحيات عبدالملك بن اوفليون

(ص ١٠٣٨)

نقش من جنوب غرب تيماء

ذ ك ي ر ع ي د ا ل ه ي ب ر ه ن ا وس ل م

ذكرى (و) تحيات عيد اللّٰه بن هانئ

(ص ١٠٥١)

نقش من الخبو الغربي بتيماء

ع وي د وب ر ع ز ي ت

عويد بن عزية

(١٠٧٩)

المصادر والمراجع العربية

القرآن الكريم.

ابن الأثير، مجد الدين بن محمد الجزري.

١٩٦٣ النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، بيروت.

ابن منظور، الإمام أبو الفضل جمال الدين.

١٩٧٠ لسان العرب، ج ٣، الدار المصرية للتأليف، القاهرة.

أبو درك، حامد إبراهيم.

١٩٩٧ مقدمة عن آثار تيماء، ط٢، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.

أبو طالب، محمود.

١٩٧٨ الأردن وفلسطين في العصور القديمة. وزارة الثقافة والشباب، عمان.

أبو عساف، علي.

١٩٩٧ الكتابات البدوية (الكتابات الصفوية). الحوليات العربية السورية، دائرة الآثار والمتاحف، دمشق.

إسماعيل، حلمي محروس.

١٩٩٧ الشرق العربي القديم وحضارته «بلاد الشام ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة». مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

البعلبكي، رمزي.

١٩٨١ الكتابة العربية والسامية: دراسات في تاريخ الكتابة وأصولها عند الساميين، دار العلم للملايين، بيروت.

الاصطخري، إبراهيم بن محمد.

١٩٣٧ مسلك الممالك، مطبعة بريل، ليدن.

الإدريسي، أبو عبدالله محمد.

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت.

الأصفهاني، الحسن بن علي.

١٩٦٨ بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر، صالح العلي، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

الأنصاري، عبدالرحمن. وغزال، أحمد. وكنج، جفري.

مواقع أثرية وصور من حضارة العرب في المملكة العربية السعودية، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض.

الأنصاري، عبدالرحمن. وغزال، أحمد. وكنج، جفري

١٩٨٤ مواقع أثرية وصور من حضارة العرب في المملكة العربية السعودية، مطابع جامعة الملك سعود.

الأنصاري، عبدالرحمن وآخرون.

١٩٨٥ مواقع أثرية وصور من حضارة العرب في المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود، الرياض.

الأنصاري، عبدالرحمن الطيب.

١٩٨٦ قرية الفاو، صورة للحضارة العربية قبل الإسلام، جامعة الملك سعود، الرياض.

الأنصاري، عبدالرحمن.

٢٠٠٢ البدع، تاريخها وآثارها، ط١، وكالة الآثار والمتاحف، وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية، الرياض.

البكر، منذر عبدالكريم.

١٩٧٧ دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام «تاريخ الدول الجنوبية في اليمن». جامعة البصرة.

البكر، منذر عبدالكريم.

١٩٨٥ دراسة الميثولوجيا العربية، الديانة في بلاد العرب قبل الإسلام. المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، العدد ٣٣، بغداد. دمشق.



أسكوبي، خالد بن محمد عباس

١٩٩٩ دراسة تحليلية مقارنة لنقوش من منطقة (رم) جنوب غرب تيماء، ط١، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.

أنجراهام، مايكل. تيودورج. الريحاني، نسيم. الشتله، إبراهيم.

١٩٨١ التقرير المبدئي عن مسح المنطقة الشمالية الغربية، أطلال، العدد الخامس، الرياض.

أوليري، دي لاسي.

جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة موسى علي الغول، وزارة الثقافة، عمان.

بار، بيتر، وزاريس، وآخرون.

١٩٧٨ التقرير المبدئي عن الموسم الثاني لمسح المنطقة الشمالية، أطلال، العدد الثاني، الرياض.

بافقيه، محمد.

١٩٨٧ في العربية السعيدة، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء.

بدول، وين.

١٩٨٩ الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية، ترجمة عبدالله ناصيف، الرياض.

جوسين، أنطونان؛ سافينياك، رفائيل.

١٩٩٧ رحلة استكشافية أثرية إلى الجزيرة العربية، ترجمة صبا عبدالوهاب الفارس، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

حتي، فيليب. وجرجي، ادوارد. وجبور، جبرائيل.

١٩٨٦ تاريخ العرب، دار غندور للطباعة النشر والتوزيع، بيروت.

ديسو، رينيه.

١٩٥٩ العرب في سوريا قبل الإسلام، ترجمة عبدالحميد الدواخلي، لجنة التأليف والترجمة النشر، بيروت.

الرشيد، ناصر بن سعيد.

١٩٨٤ تعامل العرب التجاري وكيفيته في العصر الجاهلي، الجزيرة العربية قبل الإسلام. مطابع جامعة الملك سعود، الرياض.

سالم، سيد عبدالعزيز.

١٩٨٠ دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام. الجزء الأول، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت.

سيد، عبدالمنعم عبدالحليم.

١٩٨٤ الأصول المصرية القديمة لبض المظاهر الحضارية في الجزيرة العربية قبل الإسلام. الجزيرة العربية قبل الإسلام، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض.

سيف، محمود.

١٩٩٦ جغرافية المملكة العربية السعودية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

الشامي، أحمد عبدالحميد.

١٩٧٨ تاريخ العرب والإسلام «حضارة العرب قبل الإسلام، حياة محمد وظهور الإسلام». مطابع سجل العرب، دمشق.

الشتلة، إبراهيم يوسف.

١٩٨٠ الثموديين. الدارة، المملكة العربية السعودية، الرياض.

شرف الدين، أحمد حسين.

١٩٨٢ مسالك القوافل التجارية في شمال الجزيرة العربية وجنوبها، الجزيرة العربية قبل الإسلام، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض.

طلفاح، أحمد سالم.

١٩٩٤ الآلهة عند الثموديين. رسالة قدمت استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير، جامعة اليرموك، معهد الآثار والأنثروبولوجيا، قسم النقوش.

عاقل، نبيه.

١٩٨٨ تاريخ العرب القديم والعصر الجاهلي. مطبعة خالد بن الوليد، دمشق.

عبدالحميد، سعد زغلول.

١٩٧٦ تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

عبدالعليم، مصطفى كمال.

١٩٨٤ تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني. الجزيرة العربية قبل الإسلام. مطابع جامعة الملك سعود، الرياض.

علي، جواد.

١٩٧٠ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. الجزء السادس، دار العلم للملايين، بيروت.

علي، جواد.

١٩٧٦ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. الجزء الأول، دار العلم للملايين، بيروت.

علي، جواد.

١٩٨٠ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. مكتبة النهضة، بغداد.

غبان، علي.

١٩٩٣ الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة– مدخل عام، مطبعة السفير، الرياض.

غلاب، محمد السيد.

١٩٨٤ التجارة في عصر ما قبل الإسلام. الجزيرة العربية قبل الإسلام. مطابع جامعة الملك سعود، الرياض.

الفاسي، هتون أجواد.

١٩٩٣ الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية في الفترة ما بين القرن السادس قبل الميلاد والقرن الثاني الميلادي، جامعة الملك سعود، الرياض.

فروخ، عمر.

١٩٦٤ تاريخ الجاهلية. دار العلم للملايين، بيروت.

فلبي، سانت جون.

١٩٧٤ أرض الأنبياء، ومدائن صالح، تحقيق عمر الديراوي، المكتبة الأهلية، بيروت.

كحالة، عمر رضا.

١٩٧٩ العرب: من هم، وما قيل عنهم. مؤسسة الرسالة، بيروت.

الكلبي، ابي المنذر هشام بن محمد بن السائب.

١٩٢٤ كتاب الأصنام، تحقيق أحمد زكي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.

الجاسر، حمد.

١٩٨١ في شمال غرب الجزيرة العربية، دار اليمامة، الرياض.

الحموي، شهاب الدين.

١٩٧٩ معجم البلدان، ج ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الخطاطبة، محمد فاضل.

٢٠٠٦ عمارة الأنباط السكنية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.

الذييب، سليمان بن عبدالرحمن.

١٤٣١ مدونة النقوش النبطية في المملكة العربية السعودية، المجلد الثاني، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

الذييب، سليمان بن عبدالرحمن.

١٩٩٤ نقوش عربية شمالية من تبحر شمال غرب المملكة العربية السعودية، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.

الذييب، سليمان بن عبدالرحمن.

١٩٩٩ نقوش ثمودية من المملكة العربية السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.



الذييب، سليمان بن عبدالرحمن.

٢٠٠٢ نقوش جبل أم جذايذ النبطية، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.

الذييب، سليمان. ونصيف عبدالله.

١٩٩٩ نقوش عربية شمالية من موقع الهند بمنطقة تبوك، دراسات، المجلد ٢٥، العدد ٢، الرياض.

السعيد، سعيد بن فايز إبراهيم.

١٩٩٦ نقوش عربية جنوبية قديمة من البرك، الدارة، العدد الرابع، الرياض.

العطوي، مسعد بن عيد.

١٩٩٣ تبوك قديماً وحديثاً، ط١، مكتبة التوبة، الرياض.

المحيسن، زيدون بن حمد.

٢٠٠٨ مدينة إربد في العصور الحجرية والكلاسيكية، مدينة إربد ماضياً وحاضراً. ج١، مطبعة كنعان، إربد.

المحيسن، زيدون بن حمد.

٢٠٠٤ الحضارة النبطية، وزارة الثقافة، عمان، الأردن.

المحيسن، زيدون بن حمد. فيل نيف، فرانسوا، جانيف، مولاي.

٢٠٠٤ خربة الذريح: إضاءات جديدة على ديانة الأنباط ومعتقداتهم، أدوماتو، ٩، الرياض.

المحيسن، زيدون بن حمد. والطرشان، نزار بن علي.

حضارة العرب قبل الإسلام. مؤسسة حمادة، إربد.

المحيسن، زيدون بن حمد.

١٩٨٧ نقوش جديدة من جنوب الأردن. الأنباء، العدد ٥، مطبعة جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

اليعقوبي، أحمد بن إسحاق.

١٩٩٩ تاريخ اليعقوبي، دار الكتب العلمية، بيروت.

عبودي، هنري.

١٩٨٨ معجم الحضارات السامية، طرابلس، لبنان.

معروف، ناجي.

١٩٧٥ أصالة الحضارة العربية. دار الثقافة، بيروت.

مهران، محمد بيومي.

١٩٧٩ دراسات في تاريخ العرب القديم، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

مهران، محمد بيومي.

١٩٨٠ دراسات في تاريخ العرب القديم. لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية.

مهران، محمد بيومي.

١٩٩٤ تاريخ العرب القديم. الجزء الأول، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

موسكاتي، سبتينو.

١٩٥٧ الحضارات السامية القديمة، ترجمة السيد يعقوب بكر، دار الرقي- بيروت.

موزيل، ألويس.

١٩٥٢ شمال الحجاز (١)، ترجمة عبدالمحسن الحسيني، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية.

هاردنج، لانكستر

١٩٨٣ آثار الأردن. تعريب سليمان موسى. ط٣. عمان: منشورات وزارة السياحة والآثار.

ياسين، خير نمر

١٩٩١ جنوبي بلاد الشام: تاريخه وآثاره في العصور البرونزية. سلسلة الكتاب الأم في تاريخ الأردن، ٢. عمان: منشورات لجنة تاريخ الأردن.

المصادر والمراجع الأجنبية

Beckingham, C.
1976 Some Early European Travelers in Arabia, PSAS, 6.

Bowersock, G. W.
1983 Roman Arabia, Harved University, London, England.

Bowersock, G. W.
1971 A Report on Arabia Provincia, JRS, 61.

Browning, I.
1982 Petra, Chatto and Windaus, London.

Brünnow, R.E. and von Domasweski, A.
1904, 1905, 1909 Die Provincia Arabia, 3 vol., Strasbourg.

Burckhardt, J.L.
1822 Travels in Syria and Holy Land, London.

Cantineau, J.
1930 - 1932 Le Nabatéen, 2 vol., Paris.

Dalman, G.
1912 Neue Petra Forschungen, Leipzing.

Doughty, C.
1924 Travels in Arabia Deserta, The Medici Society Limited, London.

Diodorus, Siculus.
The Library of History, 19, 89-91.

Glueck, N.
1935 Explorations in Eastern Palestine II, AASOR, XV, USA.

Glueck, N.
1959 Rivers in the Desert, New York.

Glueck, N.
1965 Deities and Dolphins, The Story of The Story of the Nabataeans, London.

Glueck, N.
1970 The Other Side of Jordan, Cambridge -Massassuchets.

Graf, D.
1978 The Saracens & the Defense of the Arabian Frontier,, BASOR, 229.

Graf, D.
1990 Origins of the Nabataeans, ARAM, 2, Oxford.

Hammond, PH, C.
1973 The Nabataeans- Their History, Culture and archaeology, Gothenburg.

Hammond, PH, C.
1982 The Excavations at Petra, SHAJ, 1. A

Harding, lankester and littmann, Enno
1952 Some Thamudic Inscriptions form the Hashemite kingdom of Jordan. E.J. Brill. Leiden.

Jaussen, M., and Savignac, R.
Mission archéologique en Arabie, 2 Vol., Paris, France.

Khairy, N.
1982 Fine Nabataean Ware with Impressed and Rouletted Decorations, SHAJ, I, Amman, Jordan.

Khan, M
1993 Prehistoric Rock Art of Northern Saudi Arabia, Department of Antiquities and Museums, Riyadh.

Lawlor, J.I.
1974 The Nabataeans in Historical Perspective, Michigan.

Lenoble, P., Al -Muheisen, Z., Villeneuve, F.
2001 Fouilles de khirbet edh -Dharih (Jordanie), I: Le Cimetiére au sud du Wadi Sharheh, SYRIA, 78, Paris.

Mckenzie, J.
1990 The Architecture of Petra, New York,

Meshel, z. and Tsafrir, Y.
1974 The Nabatean Road from Avdat to Sha'ar -ramon, PEQ, 112, England.

Mellaart, J.
1965 Catal Huyuk, A Neolithic Town in Anatolia, Thames and Hudson, London.

Al -Muheisen, Z. and Villeneuve, F.
1993 khirbet edh Dharih, LB, XLIII, Jerusalem.

Al -Muheisen, Z.
2009 The Water Engineering and Irrigation System of the Nabataeans, Yarmouk University, Jordan.

Al -Theeb, S.
1993 Aramaic and Nabataean Inscriptions from North-West Saudi Arabia, Riyadh.

Murray, M.A., and Ellis, J.C.
1940 A Street in Petra, London,

Musil, A.
1926 The Northern Hejaz, New York.

Musil, A.
1927 Arabia Deserta, American Geographical Society, Oriental Explorations and Studies No. 2 Ed J. K. Wright, New York.

Oppenheim, L.
1956 Babylonian and Assyrian Historical Texts, in J.B. Pritchard (ed.), Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, 2nd Edition, Princeton: Princeton University Press.

Parr, P.
1970 A Sequence of Pottery from Petra, Near Eastern Archaeology in the Twentieth Century, New York. (ed. A. J. Saunders).

Parr, P. and others.
1970 Preliminary Survey in North Western Arabia 1968, Institute of Archaeology, Bulletin, Vol. 8-9.

Philby, H.
1957 The Land of Median, London.

Pliny.
1969 Natural History, V1, Classical Library. Cambridge.

Rostovtzeff, M.
1971 Caravan Cities.

Schmitt-Korte, K.

1984 Nabataean Pottery in Pre- Islamic Arabia (Studies in the History of Arabia II), Riyadh.

Starcky, J.
1957 «Y a-til un dieu Res ain Laaban? «Revue Biblique, Paris.

Starcky, J.
1966 Petra at la Nabatene, Supplement au dictionnaire, de la Bible, Vol. VII, Paris, France.

Strabo.
Geography, XVI, 4, 26.

Tarrier, D.
1980 Les triclinia cultuels et salles de banquet (Pétra), MDB, 14, Paris, France.

Tarrier, D.
1988 Les triclinia nabateens dans la perspective des installations de banquet du proche-Orient, These de Doctorate, Paris I-Pantheon-Sorbonne, Paris, France.

Tixier, I.
1974 Glossary for the description of stone tools with special reference to Epipaleolithic of the Maghreb.


موسوعة منطقة تبوك العلمية

الجزء الثاني:
الآثار الإسلامية

تأليف:

أ. د. طلال بن محمد الشعبان
















مدينة تبوك عام (١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م)

مقدمة:

بدأت منطقة تبوك بعد وصول الرسول صلى الله عليه وسلم إليها تأخذ هويتها الإسلامية ببناء المساجد.

ثم انتشرت الآثار الإسلامية في مختلف أنحاء المنطقة وتنوعت هذه الآثار بأشكالها وانتمائها إلى حقب مختلفة على امتداد التاريخ الإسلامي منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومروراً بدولة الخلافة الراشدة ثم الأموية ثم العباسية ثم بعد ذلك العصر الحديث، وبما اشتمل عليه من آثار عثمانية.

وبعد دخول المنطقة ضمن حكم الدولة السعودية على يد المؤسس الملك عبدالعزيز آل سعود، انتشرت الآثار التي تنتمي إلى هذه الفترة التاريخية الهامة في أنحاء المنطقة ومدنها.

نبذة تاريخية:

اكتسبت منطقة تبوك أهمية في التاريخ الإسلامي منذ مبادرة الرسول صلى الله عليه وسلم لتثبيت نفوذ الإسلام، وذلك عندما غزاها بنفسه، وكانت غزوة تبوك الشهيرة، وظهور الإسلام المبكر في المنطقة، هو الذي أدى إلى أن اكتسبت المنطقة أهمية استراتيجية بالنسبة لأمن الدولة الإسلامية الناشئة في المدينة المنورة.

أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم رجاله ودورياته العسكرية في طول الصحراء وعرضها شرقاً وغرباً، وتوافد إليه صلى الله عليه وسلم أمراء المنطقة يعلنون دخولهم في طاعته، ومنهم أهل أذرح وجرباء في معان، وأهل إيلات بخليج العقبة، وأعلنوا دفع الجزية المستحقة، لأنهم كانوا تحت السيطرة البيزنطية (البلاذري ١٣٩٨هـ: ط١: ٧١). كما أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على رأس جيش إلى دومة الجندل، فقضى على أخطر معاقل المقاومة البيزنطية، وتم أسر ملكها (أكيدر بن عبدالملك) وقتل أخاه حسان (الأنصاري وآخرون ١٤٢٣هـ: ٧٩).



ولهذا الانتصـــار الكبير الذي تم عام ٩هـ/ ٦٣٠م أثر كبير في حياة الأمة الإسلامية ومستقبلها.

ولم تكن غزوة تبوك هــي المواجهة الأولى للجيش الإسلامي بتلك المنطقة ضد أعداء الإسلام، وإنما كان هنــاك حملتــان عســكريتان قبل ذلك. الحملــة الأولى كانت في عام ٧هـ/ ٦٢٨م، حينما بعث الرســول صــلى الله عليه وســلم حملة بقيادة زيد بــن حارثة إلى قبيلة جــذام المقيمــة في أرضــ حســمى، وهي الهضــبة التي تقــع غرب تبــوك، والحملــة الثانية عام ٨هــ /٦٢٩م. ومن خــلال هاتين الحملتين نجح الرســول صــلى الله عليه وســلم في القضــاء على نفوذ البيزنطيين وفلولهم بالحــدود الشــمالية من الجزيــرة العربيــة (الطبري د.ت: ١٥٥؛ الحموي ١٣٩٩هـ: ج٢: ٢٥٩).

إن الانتصــار الكبير الذي حققه الرســول صــلى الله عليه وســلم في غــزوة تبوك عام ٩هــ/ ٦٣٠م كان له الأثر الكبير في حياة الأمة الإســلامية ومســتقبلها، كما أن هذا الانتصــار أصبح نقطة البداية في علاقات الأمــة الإســلامية بالقــوة المســيحية الغربيــة، وهــي الدولة البيزنطية، والتي كانت تُخضِــع تحت سيطرتها جــزءاً كبــيراً من المناطق الهامة مثل مصــر والشــام. فالانتصار عليهم في تبوك قضى على نفوذ وشوكة هذه القــوة، ومهد الطريق أمام خلفاء الرســول صــلى الله عليه وسلم للقضاء عليهم وعودتهم إلى عقر دارهم في أوربا، وتحرير ونشر الإسلام في المناطق التي احتلوها، وأصــبحت تابعــة للدولة الإســلامية في المدينة المنورة، وقد حدث ذلك بالفعل في عهد الخليفة الراشــدي عمر بن الخطاب، وأصبحت مصر والشام وشمال الجزيرة أجزاء إسلامية تابعة للدولة الإسلامية.

وفي الســياق نفســه ترتب عن الانتصار في موقعة تبوك أن صــالح الرســول صــلى الله عليه وسلم أهالي المنطقــة من غــير البيزنطيين، مثل تصــالحه مع أهل جرباء اليهود وأهل أذرح، ودفعوا جزية كانوا يدفعونها من كل ســنة، كما صــالح أهل مقنا وسكانها من اليهود أيضــاً على ربع ما تغزله نســاؤهم وربع ثمارهم، وكتب لهــم كتابــاً بأنهــم آمنون بأمــان الله ســبحانه وتعالى وأمان محمد صــلى الله عليه وســلم (ابن هشام د.ت: ج.٤: ١٦٩).

وبخضــوع تبــوك وضــمها إلى الدولة الإســلامية المبكرة، أصــبح لهــا نظام سياســي وإداري، مثلها مثل المناطق التي خضعت للدولة، إذ قام الرسول صلى الله عليه وســلم بتعيين عامل عليها وهو عمرو بن سعيد بن العاصــ بن أمية القرشــي (ت ١٣هــ/ ٦٣٤م)، والذي كان عاملاً أيضاً على مناطق خيبر وفدك ووادي القرى وتيماء، واســتمر في هذا المنصــب حتى وفاة الرســول صــلى الله عليه وسلم في عام ١١هـ/ ٦٦١م (ابن الأثير ١٤٠٩هـ: ج٣: ٧٢٨).

وفي عهد الخلفاء الراشدين استمرت تبوك تابعة إدرايــاً إلى حكــم الدولة الإســلامية بالمدينــة المنورة، وأصــبحت مــن المحطــات الهامــة لمــر طريــق الحج الشــامي، نظــراً لما تتمتــع به من أمــن وأمــان لقوافل الحــج والتجارة، واســتمر عمرو بن ســعيد بن العاص عاملاً عليها في عهد الخليفة أبي بكر الصــديق رضــي الله عنه، ومنها انطلقت الجيوش التي أرســلها الأخير إلى بــلاد الشــام لتحريرهــا مــن البيزنطيــين ونشــر الإســلام بها بقيــادة أبو عبيدة بن الجراح وشــرحبيل بن حســنة، إذ أمرهما بأن يســلكا التبوكية على البقاء من علياء الشــام، والمقصــود بذلك هو أن هذا الطريق أكــثر الطرق أمناً للقــوات الإســلامية (الطبري د.ت: ج٣: ٤٠٢). وازداد الطريــق أمنــاً وأمانــاً بعد مواجهة أخــرى حدثت بين الجيش الإســلامي بقيــادة يزيد بن أبي سفيان، وجيش بقيادة ربيعة بن عامر بن لؤي وبين جيش البيزنطيين انتصر فيها الجيش الإسلامي وغنم غنائم كثيرة أرسلت إلى المدينة المنورة (الواقدي د.ت: ج١: ٦).

وفي عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضــي الله عنه، استمر الاهتمام بمنطقة تبوك فشيدت العيون والآبار، وأمر بإنشاء الوقف عليها (الجاسر ١٣٩هـ: ١:



٤٣٤). وفي عهد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ذاع شهرة تبوك على أنها أساس الطريق الذي سلكه قواده وعماله إلى بلاد الشام.

وفي العصر الأموي (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م) صارت تبوك تابعة لحكم الدولة في دمشق مثلها مثل سائر الأقطار الإسلامية الأخرى، واهتم بها الخلفاء الأمويون، وأصلحوا مسجدها وعمروا طرقها، مما يدل على أن المنطقة كانت عامرة آهلة بالحركة بين المدينة المنورة ودمشق عاصمة الخلافة، وكانت طريقاً للحجاج القادمين من الشام إلى المدينة المنورة، ومنها إلى مكة المكرمة (ابن كثير د.ت: ج٨: ٣٤٠).

وفي العصر العباسي (١٤٣٢-٦٥٦هـ/ ٧٥٠-١٢٥٨م) تضاءلت أهمية تبوك كغيرها من المناطق الشمالية الغربية للجزيرة العربية بسبب نقل مركز الثقل السياسي من دمشق إلى بغداد، وكان دورها يقتصر على أنها محطة هامة من محطات الحج الشامي لتوسطها بين دمشق والمدينة المنورة (الهرفي ١٤١٠هـ:٢٥). وهي بذلك مدينة عامرة في هذا العصر؛ إلا أنها تعرضت لبعض الكوارث نتيجة للوجود الصليبي في بلاد الشام منذ نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، إذ تعرض هذا الطريق للخلل الأمني، وبالتالي أثر اقتصادياً على المنطقة. إلا أنه سرعان ما عاد إلى ما كان عليه بعد القضاء والانتصار على الصليبيين في موقعة حطين على يد صلاح الدين الأيوبي ٥٨٣هـ/١١٨٧م، فاهتم بالطريق سلاطين الأيوبيين وأولوه برعايتهم (ابن الأثير ١٤٠٩هـ: ج١١: ٥٥٧).

وفي العصر المملوكي بمصر والشام (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م) صارت تبوك من أهم محطات الحج الشامي خاصة بعد استقرار الأوضاع السياسية بانتهاء الحروب الصليبية، وعلى الرغم من تعرض قوافل الحجاج لبعض الاعتداءات من قبل القبائل، إلا أن سلاطين المماليك اهتموا بتزويد تلك القوافل بالجيش اللازم والعتاد لقمع هذه الهجمات. وعلى الرغم من ذلك ففي عام ٧٣٧هـ/١٣٣٧م أيام حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون عانت تبوك كثيراً بسبب الدمار وهجرة السكان لعدم استتباب الأمن، وأصبح حجاج الشام يعانون في سفرهم إلى الديار المقدسة مشقات كثيرة، تمثلت في قلة الماء، وغلاء الأسعار، واضطراب الأمن، واستمر الحال هكذا حتى أواخر العصر المملوكي (الجاسر ١٣٩٠هـ: ط٢: ٣٩٩).

وفي العصر العثماني (٩٢٣-١٢٢٠هـ/ ١٥١٧-١٨٠٥م) لم تنل منطقة تبوك القدر الكافي في كتب المصادر والمراجع والتاريخ مثلما نالته في الفترة المبكرة، وربما يرجع ذلك إلى التطور التاريخي للمنطقة في ذلك الوقت، فلم تكن هناك حدود جغرافية تميز المنطقة، فالمنطقة من أجزائها الشرقية تتبع حائل، والأجزاء الغربية تتبع إقليم الحجار، على حين تتبع الأجزاء الشمالية منها إلى أعمال معان التابعة لولاية الشام، وساد النظام القبلي عند أهالي المنطقة فاحتكم الناس إلى رؤساء القبائل، وهذا ما جعل الدولة العثمانية تتقرب أكثر من رؤساء القبائل وتخصص لهم مقابلاً مادياً نظير حماية قوافل الحج والتجارة بمنطقة تبوك (السباعي ١٤١٩هـ: ج٢: ٢٩٢).

واهتم السلاطين العثمانيين بالمنطقة، فشيدوا العديد من الآبار وأصلحوا الطرق ودروبها وشيدوا العديد من القلاع الحربية (الجاسر ١٤٠١هـ: ط٢: ٤٤٢).

وفي عهد الدولة السعودية الأولى (١٢٢٠-١٢٢٦هـ/ ١٨٠٥-١٨١١م) بقيت منطقة تبوك غير محددة جغرافياً، وأصبحت تابعة لهذه الدولة لفترة قصيرة لم تتجاوز سبع سنوات، كان هناك استمرار للحكم القبلي والولاء للدولة السعودية إلى أن انتهت الدولة السعودية الأولى على يد والي مصر محمد علي باشا عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م، فأصبحت الأجزاء



الغربية من منطقة تبوك تابعة لباشوية مصر بدلاً من إقليم الحجاز أو استانبول (ابن بشر د.ت: ج١: ٥٤).

وفي عهد الدولة السعودية الثانية بقيت منطقة تبوك بعيدة عن نفوذ الحكم السعودي، واستمرت موانئ شمالي الحجاز تابعة لمصر حتى سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م، ثم استعادتها الدولة العثمانية مرة أخرى، على حين بقيت أجزاء من منطقة تبوك مثل تبوك وتيماء تابعة لحكم آل رشيد في حائل (المختار د.ت: ج١: ٤٢).

من خلال العرض التاريخي السابق يتضح أن هناك نشاطاً لحركة الاستيطان والسكن بمنطقة تبوك، وأن هناك توسعاً للعمران في المدن القديمة القائمة، وظهرت سلسلة من المدن الجديدة والقرى، وبقيت آثار بعض هذه المدن والقرى حتى وقتنا الحاضر، والتي تنقسم من حيث موقعها الجغرافي إلى قسمين: المدن والقرى الساحلية والمدن والقرى الداخلية (العطوي ١٤١٣هـ: ١٢٣).

لقد كان سكان منطقة تبوك في العصور الإسلامية الماضية يعملون في التجارة والزراعة والرعي والملاحة والغوص والتعدين، وكانوا يزاولون بعض الحرف والمهن اللازمة للحياة الحضارية، وكانت قمة هذه النهضة الاقتصادية مع بدايات الحقب الإسلامية المبكرة، ومع نهاية القرن السادس وحتى القرن الثاني عشر الهجري/ وحتى الثامن عشر الميلادي، إذ شهدت المنطقة مرحلة تدهور للمقومات الاقتصادية والعمران والمدن والقرى التي أختفى عدد منها بعد أن كانت عامرة في القرون الهجرية الأولى، وتحول هذا الأمر مع نهاية القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، فدخلت المنطقة في مرحلة انتعاش اقتصادي وعمراني، وطرأ ازدهار نسبي على اقتصادها وتجارتها، نتجت عنه عودة العمران وتوسع الطرق بعدد من المدن الساحلية، كما حظيت المنطقة بعد دخولها تحت لواء الملك عبدالعزيز رحمه الله بنصيبها من مشاريع التطور والتنمية (العطوى ١٤١٣هـ: ١٣١).

أهم محافظات تبوك:

مدينة تبوك:

هي كبرى مدن المنطقة وحاضرتها، وعرفت منذ عصور ما قبل الإسلام، وازدهرت شهرتها، وعظم الاهتمام بها بعد غزوة تبوك الشهيرة عام ٩هـ/ ٦٣٠م التي قادها الرسول صلى الله عليه وسلم، وحينها شع الإسلام بأضوائه وجاء الناس أفواجاً نحو بيت الله العتيق، فأصبحت مدينة تبوك من أهم المحطات على طريق الحج الشامي وعلى سكك حديد الحجاز، وهي عاصمة المنطقة الإدارية وبها العديد من الآثار الإسلامية المتنوعة (العطوي ١٤١٣هـ: ١٥).

تيماء:

تعد محافظة تيماء من المدن اللامعة في تاريخ الجزيرة العربية، فتاريخها ضارب في أعماق الزمن قديماً، وقد وردت في الكتابات السومرية والبابلية والنبطية والآرامية، كما وردت في التوراة وفي الكتب اليهودية (التيمائي ١٤١١هـ: ٤٢)، وهي تقع الآن في الطرف الجنوبي الشرقي من منطقة تبوك، ويذكر أن لمدينة تيماء دوراً كبيراً في حياة وتجارة الأمم الإسلامية، وكان لها دور بارز في الحياة السياسية والاقتصادية لتلك الأمم (التيمائي ١٤١١هـ: ٣٩)، ومن آثارها القديمة حصن الأبلق.

ضباء:

وهي محافظة تقع غرب تبوك وتمتد على جزء من ساحل البحر الأحمر، وورد اسمها على عدة صور، منها: حنبة وظبة وحنبا وضبا وظبا، وكانت لها أهمية كبيرة على مر العصور الإسلامية كونها منزلاً من منازل الحاج، فدائماً يلجأ إليها المسافرون من عبر الصحراء في اتجاه الأراضي المقدسة، ويتبعها الآن عدد من المراكز والقرى، وبها العديد من الآثار الإسلامية (الحموي ١٩٨٥م: ٤٥٢)؛ (الجاسر ١٣٩٧هـ: ٨٠٨)؛ (العلي ١٤١٨هـ: ٢٣٣).

الوجه:

وهي محافظة تقع في الجزء الجنوبي من تبوك شمال غرب منطقة المدينة المنورة، كما أنها مدينة قديمة كان ينزل فيها الحجاج والتجار على مر العصور الإسلامية المبكرة (الجاسر ١٣٩٧هـ: ١٣٤٩). وكانت تحت الحكم العثماني، ثم انتقلت سيطرتها بعد ذلك إلى الحكومة المصرية (العلي ١٤١٨هـ: ٢٥٩)، ويعتقد أنها كانت الميناء البحري للحجر (مدائن صالح)، وتعد الوجه من أهم محطات طريق الحج المصري، وكانت ميناء مهماً خلال العصور الإسلامية، ويتبعها عدد من المراكز، وبها آثار إسلامية متنوعة (الجاسر ١٣٩٧هـ: ٩٥٤).

أملج:

وهي محافظة تقع في أقصى الغرب من تبوك، أي الغرب من المدينة المنورة وإلى الجنوب من محافظة الوجه، وهي مدينة ساحلية، انتعشت واتسعت في العصر الحاضر، وقد عرفت مرفأ إسلامياً، وبجوارها مدينة الحوراء (الجاسر ١٣٩٧هـ: ١٣١)، كما تعد أملج إحدى محطات درب الحج المصري المهمة، وشهدت انتصار المراكز، وبها آثار إسلامية متنوعة (الأنصاري وأخرون ١٤٢٣هـ: ٢٩).

حقل: وهي محافظة تقع في الركن الشمالي الغربي من تبوك وفي أقصى الركن الشمالي الغربي بالنسبة للجزيرة العربية، ولهذه المدينة أهمية اقتصادية لصادرات المملكة العربية السعودية إلى كل من الأردن وفلسطين ومصر، خاصة في الأبل والأغنام (العلي ١٤١٨هـ: ٢٢٥).

وقد ورد ذكرها في مخطط رحلة الشتاء والصيف، كما كانت ميناء شهيراً في العصور الإسلامية، وإليها ينسب أبو محمد عبدالله بن عبدالحكيم بن أعين الحقلي مولى الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه، ويتبعها عدد من المراكز والقرى، وبها آثار إسلامية متنوعة (العلي ١٤١٨هـ: ٢٢٦).

البدع:

وهي محافظة تقع على سلاسل جبلية في الجزء الشمالي من الدرع العربي، أما الجزء الغربي فهو سهل ساحلي ضيق يمتد بمحاذاة خليج العقبة (الأنصاري وأخرون ١٤٢٣هـ: ١٥)، والبدع قديماً هي مدين وتضم آثاراً قديمة متنوعة ترجع إلى ما قبل الإسلام، وكانت نقطة تجمع لطرق التجارة القديمة والإسلامية لقربها من ساحل البحر الأحمر، ويتبعها الآن عدد من المراكز والقرى، وبها العديد من الآثار الإسلامية المتنوعة (غبان ١٤١٤هـ: ٥٤).



قرية الوجه عام (١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)



قلعة السوق في الوجه



دور منطقة تبوك في دروب الحج وروافده:

ازدهـرت الأهمية الحضـارية والاسـتراتيجية لمنطقـة تبـوك خـلال الفـترة الإسـلامية المبكـرة، بسـبب مجموعـة مـن الطـرق التـي تمر بهـا والتي تربط بلاد الشـام ومصـر بالأماكن المقدسـة، ومن هـذه الطـرق طريـق الحـج الشـامي، وطريق الحج المصري السـاحلي، وطريق الحج المصري الداخلي، وطريق المعرقة الذي يصـل بين ينبع ومحجة الشـام مروراً بالعيص، وطريق تيماء الذي يتفرع من محجة الشـام بعد تبـوك ويتجـه إلى المدينة المنـورة مروراً بتيماء وخيبر، ودرب الظهر (طريق حسم الشرقي) الذي يصل بين المدينة المنورة والقاهرة مروراً بهجنة حسمى وعلقان ووادي رم (غبان ١٤١٤هـ: ١٢٧).



قلعة ذات الحاج



عين السكر (عين تبوك)

وذكرت المصادر التاريخية الإسلامية أن الحكام المسـلمين اهتمـوا بهـذه الطـرق على مر عصـورهم الإسـلامية، فحفـروا الآبـار والـبرك في حاطتهـا، لتوفير المياه اللازمة لقوافل الحجاج، وأقاموا القلاع والأبـراج علـى الأوديـة الخطـرة، ومهـدوا العقبات الصـعبة، ووضـعوا المنـارات والعلائم (الأنصـاري وأخرون ١٤٢٣هـ: ٨٦) وأشهر هذه الطرق:

١ - طريق الحج الشامي:

عرف هـذا الطريق باسـم التبوكية نسـبة إلى بلـدة تبوك التـي يمر عليهـا، كما يعـد طريق الحج الرئيسـي ويتفـرع منه روافـد متعددة. ويبدأ مسـار هذا الطريق من دمشـق ببلاد الشـام شـمالاً رابطاً بطريق الحج التركي داخل البلاد التركية، ويمر إلى بصرى، وبعض المنازل ببلاد الشام ثم الأردن، وأهم منازله: أدرعات، ومعان، وسـرغ، ثم يدخل أراضـي الجزيـرة العربيـة، ويمـر على حالة عمـار، ثم ذات الحـاج، ثم بلدة تبوك، ثم الأخضـر، ثم المعظم، ثم الدار الحمـراء (البريكة)، ثم الأقـرع، ثم الحجر، ثـم العـلا، ومنها يتجـه إلى المدينـة المنـورة مروراً بعـدد من المحطات (غبان ١٤١٤هـ: ١٢٧)، وقد بقي هـذا الطريق إلى أن تم إنشـاء سـكة حديد الحجاز (الأنصاري وأخرون ١٤٢٣هـ: ٨٦).

وحظى هذا الطريـق بكل العناية والاهتمام من قبل الحكام المسـلمين في العصور الإسلامية المبكرة والمتأخرة، فاهتم به الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنـه فأمر بطـي عين تبوك (الحمـوي ١٩٨٦م: ١٥)، وقـام الخليفة عمر بن عبدالعزيز رضـي الله عنـه في العصـر الأموي بعمـارة مسـاجد الطريق، مثل مسجد تبوك ومسـجد وادي القرى (السمهوري ١٤٠٤هـ: ١٢٩)، وقام الخليفـة الوليد بن عبدالملك في العصـر نفسـه بوضـع المنـار على الطريـق وأمر بحفـر الـبرك والآبـار بين دمشـق ومكـة (الطبري د.ت: ١٨٩)، وفي العصـر العباسـي اهتـم الخلفـاء بالطريـق وروافده، مثلهـم في ذلك مثـل خلفاء بني أميـة، وأكثروا مـن إنشـاء البرك والقنـوات لتوفير



المياه اللازمة للحجاج، خاصة إذا واكب موسم الحج فصل الصيف، كذلك اهتم السلاطين والأمراء الأيوبيون والمماليك والعثمانيين وكذلك الحال في عهد الدولة السعودية الأولى، وفترة حكم الأشراف (غبان ١٤١٤هـ: ١٤٦).

٢- طريق الحج المصري:

وهذا الطريق خاص بحجاج مصر وشمال أفريقيا، وكان ينقسم إلى طريقين: الأول داخلي والثاني ساحلي. فالأول كان يأتي من مصر إلى وسط سيناء، إذ يمر بحقل ثم مدين، ثم الاغراء، ثم شغب، ثم بدا، ثم يمر على عدد من المنازل إلى أن يصل إلى وادي القرى (قُرح أو المابيات)، ثم يتجه إلى المدينة المنورة، فمكة المكرمة (الأنصاري وأخرون ١٤٢٣هـ: ٨٨).

أما الثاني وهو الطريق الساحلي فكان يتجه من وسط سيناء، ويدخل الطريق من الجهة الشمالية الغربية عن طريق حقل ثم الشرف، ثم مدين حتى عينونه على الساحل، إذ يسير محاذياً للساحل ماراً بالمويلح وضبا وقلعة الأزلم وبركة عنتر، ثم الوجه حتى الحوراء بأملج ليستمر جنوباً حتى المدينة المنورة أو إلى مكة المكرمة، مروراً بالجحفة (الغبان ١٤١٤هـ: ٢٠٩) وكان الطريق الداخلي هو الأكثر استخداماً خلال القرن الثالث الهجري وما بعده.

وقد نال طريق الحج المصري بمساريه الداخلي والساحلي عناية الحكام المسلمين في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة والمتأخرة، إذ أقاموا البرك وحفروا الآبار ومهدوا العقبات الصعبة وبنوا المساجد في بعض محطاته، ومن أشهرهم خمارويه بن أحمد بن طولون في القرن ٣هـ/ ٩م، حينما أمر بتمهيد عقبة أيلة وتنظيفها من الحجارة (المقريزي ١٩٥٦م: ١٨٤)، كما حفرت الآبار السبعة التي حفرت في مكان نزول الحجاج بوادي ضباء (الجاسر ١٣٩٧م: ٨٠٧)، وفي العصر المملوكي أنشئت بركة وساقية في البدع، كذلك أقيمت البرك المائية في العصر نفسه في مناطق منازل الحجاج كالمويلح، التي كانت أهم محطات الطريق في العصرين المملوكي والعثماني (غبان ١٤١٤هـ: ٢٣٣).

٣- سكة حديد الحجاز:

شرع السلطان عبدالحميد في عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م في عمل سكة حديد الحجاز لخدمة حجاج بيت الله الحرام لتوفير الوقت وعناء السفر، ووصل أول قطار من دمشق إلى المدينة المنورة في عام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م، وبلغ طول الخط من دمشق إلى المدينة المنورة ١٣٠٢كم، ومن أشهر محطاته هي، دمشق، درعا، عمان، معان، تبوك ثم المدينة المنورة (غبان ١٤١٤هـ: ٢١٩). وقد صاحب إنشاء هذا الخط الكثير من العقبات، بسبب التضاريس التي تمتع بها مسار الطريق، الأمر الذي تطلب عمل جسور على الأودية وأنفاق تحت العقبات، ومما يؤسف له أن هذا الطريق لم يكتب له النجاح طويلاً بسبب فك قضبانه الحديدية من قبل بعض البدو، والحفر تحت أساساته للبحث عن كنوز مزعومة.



المباني القديمة المتبقية من قرية المويلح



سكة حديد الحجاز





سكة حديد الحجاز

الآثـار والمواقـع الإسـلامية بمنطقة تبوك:

تعج منطقة تبـوك بالآثار والمواقع الإسـلامية؛ نظـراً لما اكتسـبته من أهمية اسـتراتيجية بالنسـبة لأمن الدولة الإسـلامية الناشـئة في المدينة المنورة، ونظـراً لموقعها على الحدود بين الحجاز حيث الدولة الإسلامية وبلاد الشام حيث الدولة البيزنطية، ومن أهم هذه الآثار والمواقع:

١- مسجد التوبة

وينسب هذا المسـجد إلى الرسول الكريم صلى الله عليـه وسـلم، وجـدده الخليفة الراشـد عمر بن الخطاب، وجدده أيضـاً الخليفة عمر بن عبدالعزيز رضـي الله عنه في العصـر الأموي، ثم أعيد بناؤه في العصر العثماني في عام ١٠٦٣هـ، ثم جدد مرة أخرى في عام ١٣٢٥هـ حيث بنى من الأحجار المشـذبة، ثم جـدده بعد ذلك الملك فيصـل رحمـه الله في زيارته لمدينـة تبـوك عـام ١٣٩٣هــ (السـمهوري ١٩٨١م: ١٠٢٩)؛ (العطوي ١٤١٣هـ: ٦٢).

٢- مسجد مدران

ويطلق عليه الآن بمسـجد المدراة، ويقع بالجهة الجنوبية الغربية لمدينة تبـوك، على طريق البديعة، وهـو الطريق الذي كانـت تعبره قوافـل أهل الحجر القادمة من بلاد الشام (العطوي ١٤١٣هـ: ٦٢).

٣- مسجد بذات الزراب

ويبعـد عن مدينة تبـوك بحـوالي ٩٠ كيلومتراً (العطوي ١٤١٣هـ: ٦٢).

٤- مسجد عين وادي الأخضر

ويقع في أعلى وادي الأخضـر في أطراف مدينة تبوك بحوالي ١٢٠ كيلومتراً (العطوي ١٤١٣هـ: ٦٢).

٥- مسجد بالا

ويعـرف الآن بمسـجد (لالا) ويقـع عند ملتقى طريـق الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم مـع درب الحجيـج، وهو قريب مـن ذات الحطـم، ويعتقد أن الرسـول صلى الله عليه وسلم صلّى فيه (السمهوري ١٩٨١م: ١٠٣٠).

وفي السـياق نفسـه سـجل المؤرخـون أن هناك مسـاجد تنسـب إلى الرسـول صـلى الله عليه وسلم خلال مسـيرته إلى تبوك، كان يجمع في صـلاته بين الظهر والعصـر في المكان الذي ينزله ويؤخر الظهر حتى يبرد، ويعجل العصر، ثم يجمع بينهما، واستمر في ذلـك حتى رجـع من تبـوك ومن هذه المسـاجد، مسـجد الفيفـاء بالعقيـق بمدينـة تبوك، ومسـجد

المروة بقرية وادي القرى، ومسجد السقيا، ومسجد بالحجر، ومسجد بذنب حوصاء، ومسجد بذي الجيفة بصدر حوصاء، ومسجد بشق تاراء بالمجز، ومسجد بذات الزراب (الواقدي د.ت: ج٣: ١٠٣١).

٦- مدينة الحوراء

وتقع على بعد ١٠ كيلومتراً شمال مدينة أملج، وتعد من مدن جهينة التي ترجع إلى عصر ما قبل الإسلام، وفي القرون الأولى من الإسلام كانت ميناء هاماً للمدن الداخلية الواقعة خلفها في منطقة وادي القرى (القرح أو المابيات)، ولذلك عرفت في المصادر التاريخية بساحل وادي القرى (المقدسي ١٩٧٥م: ٢٠٥)، ووصفها المؤرخون بأن لها حصناً بني في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وريض عامر، وفيها سوق عامر (المقدسي ١٩٧٥م: ٨٣)، وفي القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي كان له سور عظيم وآبار لحفظ المياه (الجاسر ١٣٩٧هـ: ٤٦٤)، واشتهرت طوال العصور الإسلامية بصناعة الأواني المصنوعة من الحجر الصابوني الجيد الذي كان يصدر إلى سائر الأقطار الإسلامية المجاورة (الأدريسي ١٤٠٩هـ: ٣٤٩)، ومع نهاية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي اندثرت المدينة، ولم يتبق إلا بعض البقايا الأثرية، والتي من خلال أعمال الكشف الأثري بها تم العثور على بقايا منزل مبني من الأحجار الجيرية يعود تاريخه إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلاي، وعثر بداخله على بعض من الغرف المبلطة أرضيتها من الآجر، وتم الكشف على بعض من زخارفه الجصية والكتابية والنباتية والهندسية، خاصة التي تزين باب أحد غرفه وطاقاتها الداخلية، كما تم العثور على رحى لطحن الحبوب في المر المؤدي للغرف الداخلية في موضعها الأصلي الذي كانت فيه وقت استخدام المنزل (غبان ١٤١٤هـ: ٢٦٠).

٧- آثار أكرا (بركة أكرا):

تقع أكرا على بعد ٤٥ كيلومتراً جنوب شرقي مدينة الوجه، وكانت ضمن منازل طريق الحج المصري الساحلي ومضيق لوداي أضم (الحمض) في البحر الأحمر (غبان ١٤١٤هـ: ٢٥٢)، كما ذكرت في كتب الرحالة الحجاج الذين وصفوا طريق الحج المصري خلال العصرين المملوكي والعثماني، وبأكرا من الآثار الإسلامية بركة وبئر لتخزين المياه اللازمة لحجاج طريق الحج المصري في العصر العثماني (الجاسر ١٣٩٧هـ: ١١٤٣).

٨- آثار وادي بنط:

يقع وادي بنط جنوب شرق مدينة أملج على بعد ٥٤ كيلومتراً، وبالوادي عدة آثار إسلامية أصلحت وجددت عدة مرات خلال العصرين المملوكي والعثماني، مثل البرك والآبار التي أمر سلاطين هذه الدول بإنشائها لتوفير المياه اللازمة للحجاج.

٩- آثار الخنقة:

الخنقة هي رافد من روافد الحج المصري، وهي عبارة عن ممر على مسار يتراوح عرضه ما بين ٦ إلى ١٠ أمتار محصور بين جدارين حجريين متوازيين، وإلى جوار هذا الرافد يوجد مبنى على هيئة المثلث عبارة عن علم من أعلام الطريق، والخنقة تبعد حوالي ١٤ كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي من مدينة أملج (غبات: ١٤١٤هـ: ٢٥٣).

١٠- آثار وادي العرجا:

يقع هذا الوادي على بعد ٢٥ كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي من مدينة الوجه، على طريق الحج المصري، وهو من المناطق القديمة بمنطقة تبوك، واشتهرت في العصور الإسلامية خاصة عند وقوعها على هذا الطريق، وبها من الآثار المائية خاصة الآبار التي شيدت خلال العصرين المملوكي والعثماني، كما عثر بوادي العرجا على عدة نقوش كتابية بالخط الكوفي وبالخط النسخ، وفي أعلى الوادي توجد بعض التجمعات السكنية التعدينية القديمة (غبان ١٤١٤هـ: ٢٥٠).



١١- آثار وادي الزريب:

يقع هذا الوادي شرق مدينة الوجه، على طريق الحـج المصـري، وكانـت تنـزل فيه قوافـل الحجاج المصريين والمغاربة ومن رافقهم، ومن آثاره مجموعة مـن الآبـار والـبرك التي قـام بإنشـائها وتجديدها سـلاطين المماليك والعثمانيين، لتأمين المياه اللازمة لإرواء قوافـل الحجاج، كما يوجد بأعلى الوادي قلعة بنيت في العصر العثماني (غبان ١٤١٤هـ: ٢٤٦).

وفي السـياق نفسـه يوجـد العديـد مـن المعالم الأثرية الإسـلامية بمنطقة تبوك، معظمها يقع على طريقي الحج الشـامي والمصـري وروافدهما، وبهم المئات من الآثار الإسـلامية، خاصـة الـبرك والآبار التي تم تم تشـييدها لخدمة حجاج بيت الله الحرام ومن أهم هذه المعالم:

- قرية.
- المحيبل.
- الصيناني.
- جزيرة أم عصيليات.
- جبل اللوز.
- الديسة.
- مقنا.
- بدا.
- العويند.
- شغب.
- شواق.
- النابع.
- الأزم.
- وادي حنباء.
- الملقطة.
- السوق.
- حقل.
- المويلح.
- وادي الأخضر.
- المعظم.
- المحدثة.
- شرما.
- الحواويط.
- فسقية تريم.
- أم قريات.
- العرجاء.
- أم حويطات.
- جبل أم هراب.
- ذات حاج.
- خبة التماثيل.
- بئر الدويدار.

خريطة توضح أهم المواقع الأثرية في منطقة تبوك

القلاع والحصون الإسلامية بمنطقة تبوك:

تعددت القلاع والحصون في منطقة تبوك في العصور الإسلامية لوقوع المنطقة على درب الحج الشامي والمصري وروافدهما، وذلك لخدمة الحجيج، والمتمثلة في حماية موارد الماء اللازمة لهم، وتقديم الخدمات بإقامة الأسواق وحمايتها، ومن أهم هذه القلاع والحصون:

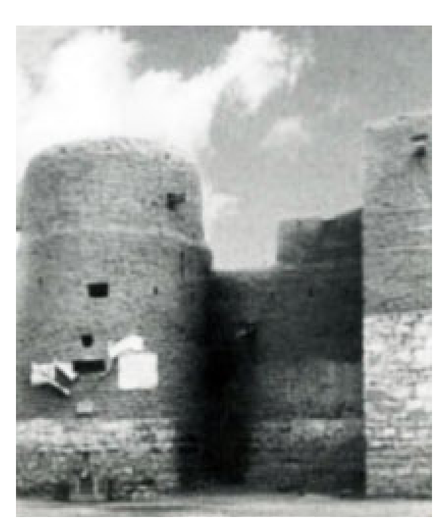
١ - قلعة تبوك:

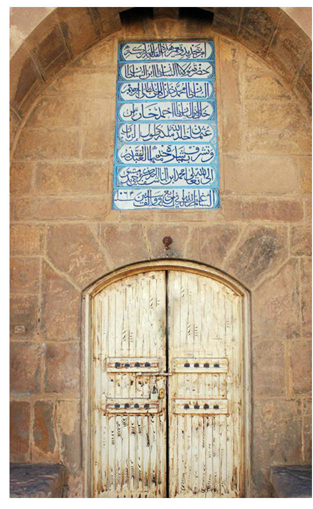
بنيت هذه القلعة عام ٩٦٧هـ/ ١٥٥٩م في عهد السلطان سليمان القانوني الذي أمر واليه في دمشق ببناء هذه القلعة، وجددت القلعة بعد ذلك في عهد السلطان محمد الرابع عام ١٠٦٤هـ/ ١٦٥٣م (عجيمي ١٤٠٩هـ: ١٤١).

وتخطيط القلعة عبارة عن مساحة مربعة الشكل تقريباً، يتوسط المدخل الرئيسي الضلع الشمالي، وهو عبارة عن فتحة مستطيلة يتوجه عقدان الأول على هيئة حدوة الفرس والثاني نصف دائري، ويفضي هذا المدخل إلى دهليز داخلي مستطيل سقوف بقبو حجري متقاطع، ومنه إلى فناء مكشوف يتوسطه بئر القلعة الذي يقوم بتزويد من في الداخل بالمياه اللازمة، ويحيط بالصحن مجموعة من الحجرات تتكون من عدة طوابق، استخدمت حجرات الطابق الأرضي مكاتب لإدارة الشرطة، على حين استخدمت الحجرات الأخرى للمبيت.

وزودت القلعة بعدة عناصر معمارية ودفاعية منها، تلك الفتحات الموجودة بالسور الشرقي والسور الغربي والتي كانت تستخدم منها الضيقة للرمي بالبنادق والمتسعة للرمي منها بالمدافع.


قلعة تبوك


حصن تبوك عام (١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م)


مدخل قلعة تبوك

كما تضم القلعة مسجداً يتوسط غرف الطابق الثاني بالضلع الجنوبي، لاستخدامه لإقامة الصلوات لمن داخل القلعة، ولا تقام به صلاة جمعة، وذلك بسبب وجود جامع تبوك الكبير الواقع بالقرب من القلعة (عجيمي ١٤٠٩هـ: ١٥٦).



٢- قلعة الأزنم (الأزلم):

تنسب هذه القلعة إلى وادي الأزلم الكبير الذي يقع على بعد ٤٠ كيلومتراً جنوب مدينة ضباء، وهو من أهم محطات طريق الحج المصري خاصة في العصرين المملوكي والعثماني. والأصول الأولى للقلعة ترجع إلى العصر المملوكي البحري أيام السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، ثم جددت في عهد السلطان المملوكي الجركسي قانصوه الغوري عام ٩١٦هـ/ ١٥١٠م.

وتخطيط القلعة عبارة عن مساحة مربعة، يصل ارتفاع أسوارها من الخارج ٧م، وهي مبنية من الحجر الجيري، يتوسط ضلعها الشمالي الشرقي المدخل الذي يفضي إلى دهليز ومنه إلى داخل فناء القلعة المكشوف، ويحيط بهذا الفناء حجرات القلعة المخصصة لإدارة الجنود والمبيت، وللقلعة أربعة أبراج مكونة من الداخل من مستويين، الأرضي مسقوف بقبة ضحلة (صغيرة)، والعلوي على شكل مثمن، ويصل إلى الأخير عن طريق ممشى يدور على كامل جدران القلعة من الداخل (غبان ١٤١٤هـ: ٢٤٣).



قلعة الأزلم قبل الترميم



قلعة الأزلم بعد الترميم

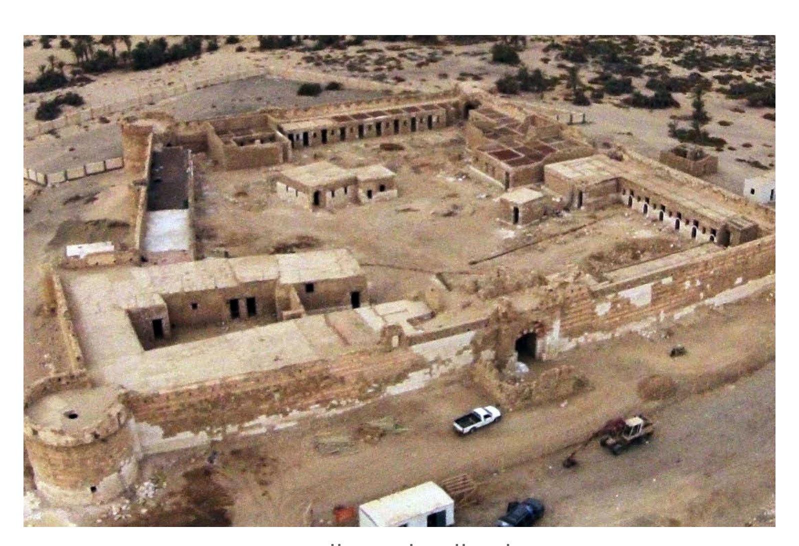
٣- قلعة المويلح:

تعد المويلح من إحدى محطات طرق الحج المصري وروافده الرئيسية، خاصة في العصرين المملوكي والعثماني، وتعد قلعة المويلح أكبر قلعة على مسار هذا الطريق، وبنيت في العصر العثماني أيام السلطان سليمان القانوني عام ٩٦٨هـ/ ١٥٦م بأمر من علي باشا الحاكم العثماني لمصر (عجيمي ١٤٠٩هـ: ٢٠٤)، وهي عبارة عن مستطيل غير منتظم يقع المدخل الرئيسي بمنتصف الضلع الشمالي، والذي يفضي إلى ممر ومنه إلى الفناء الداخلي المكشوف للقلعة، يتوسطه بئر القلعة المخصص لتزويد من في داخلها بالماء اللازم، وبجواره المسجد، ويحيط بالفناء من جميع جهات الحجرات الداخلية للقلعة، والتي استخدمت للإدارة العسكرية والمبيت، والبعض الآخر استخدم كمخازن لأقوات الحجاج وودائعهم وما يرسل إليهم من تموين برسم الملاقاة في طريق العودة. وفي نهاية العصر العثماني أصبحت وكالة هذه القلعة في يد الأشراف المويلحيين الذين اشتهروا باسم (آل الوكيل) (غبان ١٤١٤هـ: ٢٣٨).

٤- قلعة الأخضر:

تقع بوادي الأخضر الذي يقع على بعد ٧٠ كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي من مدينة تبوك، وهو من الأودية الكبيرة بالمنطقة، ويقع على طريق الحج الشامي وروافده (غبان ١٤١٤هـ: ١٦٠)، أنشئت هذه القلعة في العصر العثماني في أيام السلطان سليمان القانوني عام ٩٣٨هـ/١٥٣٢م، وهي من القلاع العثمانية الصغيرة بالمنطقة، وهي متهدمة في الوقت الحالي ويقال بأن داخل الفناء المكشوف كان هناك بئر لتزويدها بالمياه اللازمة. ولم يتبق من القلعة إلا بعض الجدران المتهالكة ومجموعة من النقوش الكتابية باللغتين العربية والتركية تفيد بالتطورات والتجديدات التي أجريت القلعة في العصر العثماني (غبان ١٤١٤هـ: ١١٧).


قلعة المويلح قبل الترميم


قلعة المويلح بعد الترميم


أطلال موقع قلعة الأخضر



٥- قلعة المعظم:

تقـع هـذه القلعة بجـوار أكبر بركـة باقية على طريـق الحـج الشـامي وروافـده، وقـد شـيدت في العصـر العثمـاني في أيام السـلطان عثمـان الثاني عـام ١٠٣١هـ/ ١٦٢٢م على يد الوزير سـليمان آغا، وهي عبارة عن مساحة مربعة الشكل، وبكل ركن من أركانها الأربعة برج من الحجر دائري الشـكل، ويقع مدخلها بمنتصف الضـلـع الشمالي الذي يفضي إلى دهليـز، ومنه إلى داخـل الفناء الداخلي المكشـوف، والذي يحيط به طابقان من الحجرات التي تستخدم للإدارة العسـكرية والمبيت، وللقلعة من الخارج حول المدخـل أربعة نقوش كتبـت بالخط النسـخ والثلث باللغة التركية، تتضـمن عبـارات دعائية وإنشـائية لتطوير وتجديد هذه القلعة (غبان ١٤١٤هـ: ١٦٥).

٦- قلعة الزريب:

تقع هـذه القلعـة بـوادي الزريب الذي يقع شـرق مدينة الوجه على طريق الحج المصري وروافده، ويرجع تاريخ هذه القلعة إلى العصر العثماني، أنشأها السلطان أحمـد الأول عـام ١٠٢٦هـ/ ١٦١٧م؛ لخدمـة الحجاج السائرين على هذا الطريق وحفظ الأمن بوادي الوجه.

وتخطيـط القلعـة عبارة عن مسـاحة مسـتطيلة الشكل بكل ركن من أركانها الأربعة برج على هيئة ٣/٤ دائـرة من الحجر الجيري، ويقع المدخل الرئيسـي لها بمنتصـف الضـلع الغربي، وهو عبارة عن دخلة بارزة عن الجـدار بعقـد موتـور، يفضـي بـدوره إلى دهليز ثـم إلى الفنـاء الداخلي المكشـوف، والـذي يحيط به مجموعة كبيرة مـن الحجرات المسـتخدمة في الإدارة والمبيت، وفي الجهة الشـمالية للفنـاء يوجد بئر القلعة التـي كانـت تمـلأ منها ثـلاث برك ملاصـقة للضـلع الشـمالي للقلعة، وبجوار البئر يوجد مسـجد وبجواره سبع حجرات صـغيرة متجاورة لكل منها باب مستقل، وقـد زودت جدران القلعة بالمزاغل، كما زودت أبراجها بفتحات كبيرة للمدافع (غبان ١٤١٤هـ: ٢٥٠).

قلعة المعظم



قلعة الزريب قبل الترميم



قلعة الزريب بعد الترميم

٧- قلعة ذات الحاج:

تقـع القلعـة في قرية ذات الحاج، شـمال مدينة تبوك، والتي تبعد عنها حوالي ٨٥ كم، على مقربة من حالـة عمار. يعود تاريخ إنشـائها إلى عهد السـلطان سـليمان القانوني، حيث تم بناء القلعة في شهر صفر من عام ٩٧١هـ/١٥٦٣م. حيث استغرق بناؤها أربعين يوماً، كما يثبت النص المؤرخ المثبت على جدار القلعة. وقـد بنيت لتكون محطـة للحجاج للراحـة، ولحماية موارد الماء المتوفرة بها، ولتخزين المؤن اللازمة لركب الحاج الشامي (عجيمي، ١٤٢٨).

تبلـغ مسـاحة القلعـة (٢٣,٦٠م × ٢٣,٨٠ م)، ويبلـغ سـمك جدرانها الخارجيـة (١,٨٠ م). تتكون القلعة من ثـلاث طوابق، وهي عبارة عن فناء مكشـوف به عين مـاء، وترتكز حجـرات القلعة على السور الجنوبي الغربي من الداخل بطوابقها الثلاثة. حجـرات الطابـق الأرضـي الخمس سُـقفت بقبوات مدببة، بينما حجرات الطابق الثاني سـقفت بسقف مسـطح، عدا الغرفة الوسطى المسـقوفة بقبو ضحل والتـي اسـتخدمت كمسـجد. بينما الطابـق الثالث يحتوي على ممر أسـوار يلتف حول أسوار القلعة من الداخل. والقلعة عين تقع في ركنها الشمالي الغربي، ويصـل الماء للبركتـين الخارجية عبر قنـاة حجرية مطمورة حالياً (عجيمي، ١٤٢٨).

٨- قلعة السوق (الوجه):

تقع على الجرف الصـخري الـذي يرتفع لأكثر من خمسـين مـترا فـوق السـوق القـديم، في البلدة القديمـة، وهـي تطـل علـى مينـاء الوجـه العريق، وتكشـف من موقعها جميع نواحي البلـدة، والمناطق المحيطة. بنيت القلعة عام ١٢٧٦هـ / ١٨٥٩م، لتكون مقـرًا لحاميـة الوجـه في نهاية العهـد العثماني، ثم أصبحت مقرًا لعدد من الإدارات في العهد السعودي.

تأخذ القلعة الشـكل المستطيل، حيث يتقارب كل ضلعين متقابلين في الطول من الخارج، وتنتشر في كل أضـلاعها فتحات مسـتطيلة للتهويـة والإنارة، وربما للمراقبة والدفاع. والقلعة مزودة ببرج واحد في ركنها الشـمالي الشـرقي، يأخذ البرج من الخارج الشـكل المربع، وهو مزود بفتحتين للمدافع، اسـتخدم طابقه الأرضي لخزن الذخيرة. ويقع مدخل القلعة في الضلع الغربي، عقد بعقد نصـف دائري. يـؤدي عبر دهليز إلى فناء صغير. وترتكز حجرات القلعة على أسوارها من الداخل. تحتوي الغرف على نوافذ تفتح على فناء القلعة. وهناك سـلمين داخل القلعة للصعود لطابقها العلـوي، الأول على يمين مدخل القلعة، والآخر مقابل بوابتها. والدور الثاني للقلعة تنتشر في جدران أسواره العديد من المزاغل (غبان ١٤١٤هـ: ٢٨٢).


صورة للقلعة وتظهر البركتين


الواجهة الأمامية للقلعة ويظهر بوابتها



٩- قلعة الملك عبدالعزيز في ضباء:

تقع هذه القلعة على تلة تشرف على سوق مدينة ضباء من جهة الغرب، أنشأها المغفور له الملك عبدالعزيز عام ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م على أنقاض برج عثماني صغير؛ لتكون قصراً للحكم والأمن في بلدة ضباء، وقام ببنائها السكان المحليون، خاصة من أهالي ينبع والوجه وضباء.

وتخطيط القلعة عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل بينت من الأحجار الجيرية المستجلبة من محاجر مدينة ضباء، زودت بكل ركن من أركانها الأربعة ببرج على هيئة ٣/٤ دائرة، مدخلها الرئيسي يقع بمنتصف الجهة الغربية، يفضي من خلال دهليز إلى الفناء الداخلي المكشوف، والذي يحيط به من جميع الجهات الحجرات والمرافق، كما تشمل على مسجد كبير يشغل معظم الواجهة الشمالية للفناء (عجيمي ١٤٠٧هـ: ٩٦).

١٠- قلعة الملك عبدالعزيز في حقل

تقع هذه القلعة في وسط مدينة حقل، وقد شيدت في العهد السعودي؛ لتكون مقراً للإدارة والأمن في هذه المدينة، والتخطيط المعماري لهذه القلعة يشبه إلى حد كبير قلعة ضباء من حيث استخدام المواد الخام والحجرات والأبراج الركنية (غبان ١٤١٤هـ: ٢٣٨).

١١-قلعة بلاش

قلعة صغيرة كانت تقع في الطرف الجنوبي الشرقي لحي الفريعه الحالي بالوجه. قام ببنائها ابن رفادة في فترة حكم الأشراف. وقد أزيلت آثار هذه القلعة في الوقت الحاضر إلا أن موقعها معروف. (غبان ١٤١٤هـ: ٢٨٤).



قلعة ضباء (قلعة الملك عبدالعزيز)



قلعة حقل (قلعة الملك عبدالعزيز)



اللوحة التأسيسية التي تعلو قلعة الملك عبدالعزيز في ضباء

القصور بمنطقة تبوك:

يوجد بمنطقة تبوك عدد لا بأس من القصور التي ترجع إلى العصور الإسلامية، منها ما هو متبق ومنها ما هو مندثر، وقد ساعد على بنائها تلك الأودية والقرى الخصبة والتي تميزت بوفرة مياهها اللازمة للزراعة واستصلاح الأراضي، ومن هذه القصور قصور منطقة شواق وشغب، إذ تقع الأخيرة على بعد ٤٥ كيلومتراً إلى الشرق من مدينة ضباء، أما الثانية فتقع على بعد ١٠ كيلومتراً.

أ- قصر شواق:

ويقع على الضفة الجنوبية لوادي شواق، وهو قصر مبني من الطوب اللبن، ولم يتبق منه إلا أطلال يظهر منها بأنه كان عبارة عن مساحة مربعة به صالة استقبال مبنية من الطوب الآجر، ويعتقد أن هذا القصر يرجع إلى العصور الإسلامية المبكرة (غبان ١٤١٤هـ: ٩٩).

ب- قصر شغب (النابع):

ويقع على طريق الحج المصري الداخلي، ولم يتبق منه إلا أطلال ترتفع على سطح الأرض بحوالي متر واحد، وجدرانه عريضة ومبنية بالحجر والطوب اللبن، وآثاره تشبه بقايا القصور والمساكن الصحراوية التي ترجع إلى العصور الإسلامية المبكرة (غبان ١٤١٤هـ: ١٠١).

وتوضح هذه القصور المبكرة مدى حرص أعيان المنطقة وأمرائها على العيش في مستوى الرفاهية الموجود بحواضر الإسلام الغنية، وأن التكوين المعماري لتلك القصور يكشف مدى التقدم المعماري في بناء تلك القصور في بداية العصور الإسلامية.

قصر الإمارة القديم في أملج

ج- قصر الإمارة القديم في أملج:

ويقع شمال غرب المسجد الكبير على امتداد الساحل الشمالي، ويعتبر قصر الإمارة من طراز العمارة التقليدية التي يعود بناؤه إلى فترة الحكم العثماني في المنطقة.

ويتكون مبنى القصر الذي بني من الحجر الجيري من عدة أطباق مطلة على ميناء أملج.

د- قصر الإمارة القديم في الوجه:

ويقع في وسط البلدة القديمة ذات التاريخ العريق، ويتكون المبنى من طابقين.

هـ- قصر الطلق في تيماء:

ويقع بجوار بئر هداج بمدينة تيماء من جهة الشرق وملحق بالقصر مسجد قديم، وتبلغ مساحة القصر حوالي ٨٠٠م، ويعود تاريخ بناؤه إلى القرن الثاني عشر الهجري.



الكتابات والنقوش الإسلامية بمنطقة تبوك:

تعج منطقة تبوك بالنقوش والكتابات الإسلامية بأنواعها التأسيسية والدعائية والتذكارية والشاهدية وغيرها، ومرد ذلك يرجع إلى كون المنطقة ممراً لقوافل الحج الشامي والمصري وروافدهما، إضافة إلى القوافل التجارية التي تمر بالمنطقة عبر العصور الإسلامية. وقد وجد الكثير من هذه الكتابات دونت على واجهات الصخور حول مصادر المياه، وداخل المدن وخارجها، وداخل الآثار المتبقية منها والمندثرة، وكذلك على امتداد طرق الحج (التيماني وآخرون ١٤٢٣هـ: ١١٤).

ومن أمثلة بعض نقوش:

١- النقوش التزينية:

ومنها نقش الملقطة، والذي عثر عليه في مدينة الدبع، وهي إحدى المدن الإسلامية بالمنطقة، وهذا النقش عبارة عن آية الكرسي وسورة الإخلاص محفورة بالخط الكوفي المورق على لوح من الرخام الأبيض (غبان ١٤١٤هـ: ١٠٧)، ربما كان مثبتاً في الأصل على جدار أحد المنازل بالمنطقة، إذ تم العثور عليه في أحد المزارع وما تبقى من النص:

بسم الله الرحمن الرحيم..........

القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم......

وما في الأرض من ذا الذي يشفع

ما بين أيديهم وما خلفهم ولا.......

إلا بما شاء وسع كرسيه السماء.....

يؤده حفظهما وهو الـ........................

قل هو الله أحد الله الصـ......................

ولم يكن له كفواً.........................

ومن النقوش التزينية أيضاً نقش عثر عليه في موقع الحوراء ويضم جزءاً من آية الكرسي منفذة بالحفر على لوح من الجص بالخط الكوفي المورق، وربما كان هذا اللوح موجود في أحد بيوت المنطقة، والجدير بالذكر أن تزيين البيوت بهذه الآيات عادة قديمة ما زالت متبعة في بيوت وقصور العصور الإسلامية (غبان ١٤١٤هـ: ١٠٩).

٢- النقوش التأسيسية:

وهي النقوش الخاصة بنص تأسيس وإنشاء المباني بمختلف أنماطها، ومن هذه النقوش نقش قلعة الزريب، وهو نقش تأسيسي يؤرخ لبنائها الذي يرجع إلى عام ١٠٢٦هـ، ويضم النص أبياتاً من الشعر تنتهي بالتأريخ على طريقة حساب الجُمَّل المعروف، والمنتشر خلال العصر العثماني ونصه:

١- ملك الأرض الذي قد قاسها
أحمد الأوصاف بدر الخلفا

٢- عمر القلعة في الوجه لنا
وبها للحج نفع وصفا

٣- في زمان لوزير أحمد
حاكم في مصر بحر للوفا

٤- تم هذا السعي في تعميرها
لأمير الحج كامل يوسفا

٥- قلعة الوجه قد أرختها
قلعة السلطان وجه للصفا

ويعد آخر البيت الخامس هو تاريخ بناء القلعة (غبان ١٤١٤هـ: ٢٤٩). ومن النقوش التأسيسية أيضاً بالمنطقة نقش المعظم (جنوب تبوك)، وهو منفذ على لوحين من الحجر الجيري، يشير كل منهما إلى عمارة تجديد بركة المعظم عام ٧٦٧هـ/

١٣٦٥م أيام السلطان الأشرف شعبان بن حسين أحد سلاطين مصر والشام في العصر المملوكي البحري، ويعد هذا النقش واحداً من مئات النصوص الهامة التي عثر عليها على طريق الحج المصري والشامي وروافدهما (الكلابي ١٤٣٠هـ).

٣- النقوش الشاهدية:

وهي نقوش خاصة بشواهد القبور، والتي تعد قليلة نسبياً إذا ما تم مقارنتها بشواهد قبور منطقة الحجاز، وربما يرجع السبب في ذلك أنها غير شائعة بين الناس في المنطقة، وقد عثر على عدد قليل من شواهد القبور بالمنطقة ترجع إلى العصور الإسلامية المبكرة والمتأخرة، منها: شاهد قبر باسم أبي حازم ويرجع إلى الفترة المبكرة، وشاهد عثر عليه في مركز إمارة ذات الحاج شمال تبوك، وهو لشخص تركي برتبة لواء توفي قبل عام ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م ونفذ بالخط الثلث وباللغة التركية (غبان ١٤١٤هـ: ١١١).

٤- النقوش التذكارية والمخربشات:

وهي نقوش سجلها السكان المحليون والمسافرون والعابرون على الطريق، خلال الحقب التاريخية المتنوعة، وأغلب هذه النقوش كتبت بالخط الكوفي البسيط أو المورق دون تنقيط (الإعجام)، ومن أمثلتها: نقوش هضبة حسمى، النقوش الموجودة شرق مدينة ضباء، وشرق مدينة الوجه، وهي في الغالب عبارة عن أدعية، وطلب الرحمة والمغفرة، والتسجيل للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وتسجيل لشهادة التوحيد، والتصريح بالإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والحث على الطاعة والتقوى، وأسماء لبعض الأشخاص، وتواقيع بصيغ مختلفة ومتعددة (غبان ١٤١٤هـ: ١٢٠).

عمارة المنطقة التقليدية:

كان لتنوع الحياة الاجتماعية في منطقة تبوك تبعاً لتنوع بيئتها الجغرافية الصحراوية، والسهلية، والجبلية، إضافة للمؤثرات الحضارية الخارجية والصلات، أثرها على العمارة التقليدية التي كانت سائدة في المنطقة.

وبما أن المنطقة الشمالية الغربية للمملكة العربية السعودية، والتي تقع ضمنها منطقة تبوك، تتكون من بيئات جغرافية متباينة، فقد أفرز هذا التباين ثلاثة أنماط معمارية يختلف كل منها عن الآخر في التصميم الداخلي والخارجي للبناء، ونوعية المواد المستخدمة، وهذه الأنماط التي تضم مباني تقليدية تشمل القلاع والحصون، والقصور التي أنشئت في عهد الملك عبدالعزيز رحمه الله أو قبله هي:

- نمط المدن الساحلية.
- نمط الأودية الداخلية.
- نمط الأراضي الصحراوية المنبسطة.

وتميزت عمارة المدن الساحلية باستخدام الحجر الجيري والطين والنورة كمواد أساسية للبناء، وتشييد المباني وتبييض هذه المواد بشكل متراص على شوارع متوسطة العرض ومستقيمة نسبياً، أو على شكل أحواش، مشكلة في ذلك نسيجاً عمرانياً منظماً للمدينة، وتشيد منازل هذه المدن عادة من دورين أو ثلاثة أدوار، وتستخدم المداميك الخشبية بين مداميك الطوب الآجر والحجارة، والتي يصل سمكها في بعض الأحيان إلى خمسين سنتيمتراً، وذلك لزيادة متانة الجدران في حال وجود هزات أرضية ومقاومة الظروف المناخية، كما نالت واجهات المنازل لهذه المدن الساحلية عناية خاصة، إذ كانت تُغطي بطبقة من الملاط تتكون من النورة.



وكانت أبوابها تتكون من فتحات يغلق عليها باب خشبي من مصراعي أو أربعة مصاريع، وعلى فتحاتها العلوية رواشن خشبية موزعة بإتقان منسق وبديع. وفي بعض الحالات كانت بعض الجدران تغشى بكامل الواجهة الرئيسية للمنزل بواجهة خشبية كاملة مكونة من نوافذ ودواشين بارزة، ويتفاوت تخطيط البناء خاصة المنازل من منزل إلى آخر، إلا أنه يوجد في التصميم عدد من العناصر الموحدة، كالدهليز الذي يفضي إلى مجلس البيت، وغرفة مقابلة له، ودرج يصعد إلى الطابق الأعلى أسفله مرحاض، ثم الجزء الداخلي الذي يتكون في العادة من فناء مكشوف للإضاءة والتهوية وتنظيم عملية الحرارة والتبريد داخل المنزل، ومن حول الفناء توجد الغرف والمطبخ والمرافق اللازمة لأهل البيت.

أما نمط عمارة الأودية الداخلية، فيستخدم الحجر الرملي أو الحجر البازلتي مع الطين كمادة أساسية في البناء، كما يستخدم الطوب اللبن في بعض النماذج مع الأحجار، أو بديلاً عنه. وتخطيط المنزل على سبيل المثال يختلف من واحد إلى آخر ومن بلد إلى آخر.

آما النمط الثالث الخاص بعمارة الأراضي الصحراوية المنبسطة التقليدية، فهو يماثل النمط المعماري التقليدي الموجود في منطقة نجد عامة، وفي منطقة حائل خاصة، ويتميز باستخدام مادة الطين والأخشاب المحلية في البناء، ويلاحظ ذلك في كثير من عمارات المساجد والقصور والبيوت والقلاع والأسوار وغيرها.

وعمارة المنزل في هذا النمط تتكون من قسمين متصلين، أحدهما يشكل واجهة المنزل ويحتوي على مجلس كبير يسمى بيت القهوة، يتقدمه فناء وغرفة تسمى المشب، بداخلها وجار وكمار لتحضير القهوة، كما يحتوي هذا القسم على مرحاض مستقل كونه مكان مخصص لاستقبال الرجال. ويليه قسم الاستقبال الخاص بسكن البيت، والذي يتكون من فناء أوسط مكشوف يحيط به عدد من الحجرات إحداها مفتوحة على الفناء بكامل واجهتها تسمى الإيوان، كما يضم هذا القسم مرافق للخدمة، ودرج يصعد إلى سطح المنزل.

وهناك بعض منازل هذا النمط تبنى من طابقين، إذ تضاف غرفة تعرف بالسقايف فوق وحدات الطابق الأرضي، ويحتوي سطح المنزل على ستارة مبنية بارتفاع قامة الإنسان. وتزين واجهات المنازل بالشرفات والفتحات ذات شكل المثلث، وهما من العناصر المعمارية والزخرفية المعتادة في عمارة منطقتي نجد وحائل وفي واجهات القصور والقلاع والأبراج يضاف إليها عنصران آخران هما الطرمة (القوتالة) والمزاغل (غبان ١٤١٤هـ: ٣٠٧).

ومن أهم نماذج العمارة التقليدية بمنطقة تبوك على سبيل المثال لا الحصر:

١ - مدينة تبوك

في مدينة تبوك قلعة تبوك التي سبق الحديث عنها، والتي تخضع الآن لعمليات ترميم في الوقت الحاضر، وبرك العين، والمقبرة القديمة، ومباني محطة سكة الحديد، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الذي جدد حالياً بمواد حديثة في البناء، وعدد محدود من البيوت الطينية المهجورة، تمثل آخر ما تبقى من الحي القديم (التيمائي ١٤١١هـ: ١٠٩).

محطة سكة الحديد في مدينة تبوك

٢- محافظة تيماء

وفي مدينة تيماء، هناك بعض الأحياء القديمة داخل المدينة الحديثة، وهي مسورة بسور من الطين له بوابات متعددة، منها بوابة النجم في الجهة الشرقية، وبوابتا الرشود والطعيس في الجهة الغربية، وبوابات درويش والبريذع وباب حديد في الجهة الجنوبية (التيمائي ١٤١١هـ: ١٠٩).

ومن أهم العمائر التقليدية في تيماء قصر ابن رمان الذي بني في عام ١٣٣٨هـ على طراز قصور ابن الرشيد بحائل، وهو من القصور الكبيرة مبني من الطوب اللبن، وله سور خارجي مدعم بعدة أبراج نصف دائرية، والمدخل الرئيس للقصر يفضي إلى دهليز واسع بجانبه مكان القهوة، وهو مجلس كبير بسقف مرتفع، وإلى اليمين يوجد مسجد القصر، ويضم القصر من الداخل فناء مكشوف على جوانبه الحجرات الرئيسة للقصر ومرافقها، كما يضم حديقة كبيرة واقعة في شرقه، وقد ظل هذا القصر مقراً للإمارة في العهد السعودي (الجاسر ١٤٠٢هـ: ٣٧٠).



قصر ابن رمان



سور خارجي مدعم بعدة أبراج نصف دائرية



٣- محافظة حقل

في مدينة حقل يوجد قلعة كبيرة بنيت في عهد الملك عبدالعزيز، رحمه الله، لكي تكون مقراً لقوات الجيش والإدارة العسكرية، وتقع القلعة على ساحل البحر الأحمر شرقاً في الجانب القديم من المدينة الحديثة حالياً، والقلعة مبنية من الحجر الجيري على نمط القلاع العثمانية المنتشرة في شمال غرب الجزيرة العربية، ولها سور مرتفع مزود بأربعة أبراج في أركانها على الأربعة على هيئة ٣/٤ دائرة، ومن الداخل تتكون من ساحة مكشوفة تحيط بها من جوانبها الأربعة حجرات الجنود المخصصة للسكن والتخزين والمرافق (التيمائي وآخرون ١٤٣٢هـ: ٢٠٢).

٤- محافظة ضباء

وفي محافظة ضباء يوجد بعض المنازل التقليدية بسوقها القديم ومسجدها الجامع، والقلعة والميناء، والمباني القديمة للجمرك والمالية والبلدية.

فالمسجد الجامع بمحافظة ضباء يقع في منطقة السوق على شاطئ البحر بالقرب من رصيف الميناء ومبنى الجمرك، ويرجع تاريخه إلى الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجري، اختطه في البداية رجل من عرب الرشايدة، ثم جدد في العصر العثماني، واضيفت له مئذنة لا تزال باقية، ثم قام الملك عبدالعزيز، رحمه الله، بتوسعة المسجد وإصلاحه، وتوالت عليه التجديدات في العصر الحالي (غبان ١٤١٤هـ: ٢٧٥). وبمدينة ضباء زاوية تقع في الطرف الشرقي لحي الساحل، بناها الشيخ محمد بن علي السنوسي جد ملوك ليبيا في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، وهي عبارة عن مسجد صغير مسقوف سقفاً مستوياً بدون صحن (غبان ١٤١٤هـ: ٢٧٥). ومن المساجد التقليدية بمدينة ضباء مسجد بديوي، والذي أنشأه الشيخ محمود البديوي في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، ويقع على ربوة مرتفعة بجانب المقبرة القديمة للبلدة، والمسجد عبارة عن مساحة مستطيلة يتكون من الداخل من ثلاثة أروقة ليس له صحن ولا مئذنة، وتجري حالياً بعض الإصلاحات والتجديدات على المسجد (غبان ١٤١٤هـ: ٢٧٦).

٥- محافظة الوجه

أما العمائر التقليدية في مدينة الوجه فتتمثل في الأحياء القديمة بها، مثل عدد قليل من المنازل بحي الساحل وحي القرفاء، والسوق القديم، والميناء، وثلاثة مساجد قديمة ومن أهم هذه العمائر:

مسجد الأشراف الذي ينسب إلى أسرة آل مرعي إحدى أسر الأشراف بالوجه، ويقع بجوار رصيف الميناء، ملاصقاً لمبنى الجمرك، وتقام به الصلوات الخمس إضافة إلى صلاة الجمعة وأهم العناصر المعمارية التي تميز هذا المسجد مدخله المعقود والذي يعلوه مئذنة مدببة الشكل على النمط العثماني.

كما يوجد بالوجه مسجد البوق الذي ينسب إلى جد أسرة البوق التي تسكن مدينة ضباء والمدينة المنورة، وجدة، ويقع قريباً من مناخة السوق، والمسجد عبارة عن بناء صغير مسقوف سقفاً مستوياً، ومن الداخل يتكون من أربعة أروقة، وتتقدمه حصوة تقام فيها الصلاة في فصل الصيف، كما يضم المسجد مكاناً لمبيت الفقراء وأهل السبيل (غبان ١٤١٤هـ: ٢٨٠).

وبمدينة الوجه يوجد زاوية صغيرة تعرف بزاوية السنوسية، نسبة إلى منشئها الداعية محمد بن علي السنوسي وتقع على ساحل البحر إلى الشمال من الميناء.

كما يوجد أيضاً مسجد أبو نبوت وهو من المساجد القديمة، ويقع إلى الشمال من الزاوية السنوسية على طرف جرف صخري عال، وأهم ما يميزه الدرج الهابط الطويل المؤدي إلى ساحل البحر.

ومن المساجد التقليدية أيضاً بالوجه، مسجد بديوي والذي يرجع تاريخه إلى نهاية القرن الثالث عشر الهجري، ويقع في حي القرفاء، ويتكون من مساحة مستطيلة مسقوفة بسقف خشبي محمول مباشرة على أعمدة حجرية، وبالركن الشمالي الغربي يوجد مئذنته التي تنتهي بشكل مخروطي مدبب على غرار المآذن العثمانية، ويتميز مدخله بأن له فتحة يعلوها عقد ثلاثي الفصوص على غرار المداخل التذكارية المنتشرة في المساجد المصرية والشامية.

ومن المباني الحربية التقليدية بمدينة الوجه قلعة السوق، التي أنشئت عام ١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م (عجيمي ١٤٠٦هـ: ٦٨)، وتقع على الجرف الصخري الذي يرتفع أكثر من خمسين متراً فوق السوق القديم.

والقلعة مستطيلة الشكل لها برج واحد، والركن الشمالي الشرقي ومدخلها يقع في الضلع الغربي ويفضي إلى دهليز ومنه إلى الفناء الأوسط المكشوف الذي يحيط به من جميع الجهات حجرات الإدارة العسكرية وسكن الجنود ومرافقها (غبان ١٤١٤هـ: ٢٨٣).

وبالوجه أيضاً قلعة بلاش، وهي صغيرة الحجم وتقع في الطرف الجنوبي الشرقي لحي الفريعة، وقام ببنائها ابن رفادة في فترة حكم الأشراف، ولا يزال موقع هذه القلعة معروفاً الآن على حين اندثرت معظم معالمها.

وبمدينة الوجه صهريج، وهو عبارة عن برك مسقوفة لجمع مياه الأمطار التي تسقط على المدينة؛ لتأمين كمية الماء التي تحتاجها ليباع منها للأهالي والحجاج، وتوقف الاعتماد عليها في عهد الملك عبدالعزيز، إذ تم جلب الماء النقي للمدينة بواسطة السيارات (الغبان ١٤١٤هـ: ٢٨٧).

المصادر والمراجع:

- ابن كثير، أبو الفداء الحائظ الدمشقي، د.ت، البداية والنهاية، تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرون، بيروت.
- الإدريسي، أبو عبدالله محمد، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت.
- التيمائي، محمد بن حمر السمير، غبان، علي بن إبراهيم، السعود، عبدالله بن سعود، خان، مجيد.
- الجاسر، حمد، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، دار اليمامة الرياض، ج١، ج٢.
- الجاسر، حمد، ١٤٠١هـ، في شمال غرب الجزيرة العربية، ط٢، الرياض.
- الجاسر، حمد، ١٤٠٤هـ، مقتطفات من رحلة العياشي، منشورات دار الرفاعي، الرياض.
- الحموي، ياقوت، ١٩٨٦م، معجم البلدان، دار صادر بيروت، ج٢، ج٣.
- الخياري، إبراهيم بن عبدالرحمن، ١٩٨٠م، تحفة الأدباء وسلوة الغرباء، تحقيق الدكتور رجاء محمود السامرائي، نشر وزارة الثقافة العراقية ودا رشيد، بغداد، ج٣.
- الدمشقي، أبو العباس أحمد بن يوسف، بدون تاريخ، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، نشر عالم الكتب، بيروت.
- السمهودي، نور الدين علي بن أحمد، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ١٩٨١م، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار إحياء التراث، بيروت.
- الطبري، محمد بن جرير، ١٩٧٧م، تاريخ الرسول والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعارف، القاهرة، ط٤.
- عجيمي. هشام بن محمد (١٤٢٨)، قلعة ذات الحاج في طريق الحاج الشامي دراسة معمارية وثائقية حوليات إسلامية المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة العدد (٤١) سنة.
- العلي، حسن بن أمين، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، دراسات وحقائق في شمال غرب المملكة العربية السعودية، طبع على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن سلطان بن عبدالعزيز آل سعود، ط١.
- العمري، ابن فضل الله شهاب الدين أحمد، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ٦ أسفار، طبع بالتصوير عن مخطوطة مكتبة السليمانية بإستانبول، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، السفر الثاني.
- غبان، علي إبراهيم علي حامد، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، مطبعة سفير، الرياض، ط١.
- غبان، علي إبراهيم علي حامد، ١٩٩٠م، الآبار السلطانية بوادي الزريب بالوجه، مجلة العصور، المجلد الخامس.
- القثامي، حمود بن ضاوي، ١٤٠٤هـ، الآثار في شمال الحجاز، طبع وزارة المعارف.
- الكلابي، حياة عبدالله حسين، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، النقوش الإسلامية على طريق الحج الشامي بشمال غرب المملكة (من القرن الأول إلى القرن الخامس)، الرياض.
- المسعودي، أبو الحسن بن الحسين، ١٩٨٢م، مروج الذهب، طبعة بيروت، ج٣.
- المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، ١٩٥٦م -١٩٧٣م، السلوك لمعرفة دول الملوك، نشر محمد مصطفى زيادة، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ج١.
- النابلسي، عبدالغني بن إسماعيل، ١٩٨٦م، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، بدون تحقيق عن مخطوطة دار الكتب، تقديم وإعداد د. أحمد عبدالمجيد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

